13
سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة

يوسف مناصرية

الصراع الايديولوجي
في الحركة الوطنية التونسية
1934 - 1937

دار المعارف للطباعة والنشر

الصراع الأيديولوجي

في الحركة الوطنية التونسية

يوسف مناصرية

الصراع الايديولوجي
في
الحركة الوطنية التونسية
1934 - 1937

دار المعارف للطباعة والنشر
سوسة - تونس

الرقم المسند من طرف الناشر: 2002/881

تدمك: ISBN9973-16-756-2

الإهداء

إلى روح الإمامين

عبد العزيز الثعالبي

وعبد الحميد بن باديس

رائدي الوحدة المغربية العربية الإسلامية الصحيحة

مُقَدِّمَة

عــرفت الحركة الوطنية التونسية في العشرينات عدة أحزاب سياسية منها الحزب الحر الدستوري التونسي الذي تأسس سنة 1920، وكان حزبا سياسيا وإصلاحيا اجتماعيا ودينيا أيضا.

وكـــان معارضـــا لسلطة الحماية والاستعمار الفرنسي بجميع أنواعه. وكان يهدف إلى استقلال تونس واضعا لذلك برنامجين. الأول عـــاجل إصـــلاحي يمهـــد الطريق للاستقلال، والثاني آجل قوامه الاستقلال الكامل والمحافظة على الأسرة الحسينية الحاكمة كعامل وحدة للشعب التونسي، والارتباط بالوحدة الشمال افريقية العـــربية الإسلامية أساسها الدين الاسلامي واللغة العربية والمد الحضاري العربي الإسلامي.

وقد انشق عن هذا الحزب ثلاثة أحزاب سياسية هي الحزب الإصلاحي الذي تزعمه حسن قلاتي سنة 1921، وكان يطالب بالالتزام بنصوص الحماية، ومنح التونسيين إصلاحات في إطارها وربط تونس بفرنسا ربطا كليا.

والحزب المستقل الذي تزعمه فرحات بن عياد سنة 1922 وكان سائرا في إطار الحماية، ولا يعارض انحرافاتها، وشارك في إصلاحاتها المتماشية مع روح الحماية أو غيرها.

وظهرت أيضا جمعية عموم العملة التونسيين سنة 1924 على يد محمد علي الحامي - ولم تكن منشقة عن الحزب الدستوري - وكانت نقابية استقطبت عناصر عديدة من الحزب الحر الدستوري التونسي أمثال توفيق المدني، والطاهر الحداد، وعبد الرحمان اليعلاوي.

وانشق عن الحزب الدستوري سنة 1934 جماعة (العمل التونسي) وعلى رأسها الحبيب بورقيبة، وأسست حزبا لها في مارس من السنة نفسها، وأطلقت على نفسها (الديوان السياسي) واعتبرت نفسها - عبثا - امتدادا للحزب الدستوري، وهي مخالفة له في جميع برامجه، ووضعت برنامجا لنفسها لا يختلف عن برنامج الحزب الإصلاحي. فحافظ الديوان السياسي بذلك على روح الحماية وصارع سلطتها في تونس المنحرفة عن نصوص المعاهدات الفرنسية التونسية، وطالب بالتعاون مع الفرنسيين، واتبع برنامجا سياسيا يهدف إلى استقلال تونس استقلالا ذاتيا تكون بمقتضاه مرتبطة بفرنسا في إطار اتحاد

متوسطي للمستعمرات تحت لواء فرنسا الكبرى، واعتمد على سياسة المراحل الموصلة إلى الاستقلال الذاتي، والمحافظة على حقوق الفرنسيين المكتسبة في تونس، والاعتراف بالحماية كواقع تاريخي، ومشاركتها في السلطة.

أما الحزب الحر الدستوري التونسي فقد ركز على تحقيق مطالبه العاجلة المتمثلة في تأسيس مجلس استشاري يتكون من أعضاء تونسيين وفرنسيين منتخبين بالاقتراع العام، له السيادة الكاملة في وضع برنامج أعماله، وله اختصاصات واسعة فيما يخص الميزانية، وتأسيس حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس والفصل بين السلطات، ودخول التونسيين في جميع الوظائف والمساواة في أجور الموظفين، وتنظيم بلديات منتخبة بالاقتراع العام، وحرية الصحافة والإجتماع وتأسيس الجمعيات، ومشاركة التونسيين في شراء أسهم الأراضي الزراعية، وإجبارية التعليم.

وكان هذا البرنامج يهدف إلى تمهيد الطريق أمام تحقيق البرنامج على المدى البعيد الذي كان هدفه الأساسي هو الاستقلال التام وتكوين نظام تونسي حر، تبقى فيه السلطة بيد الأسرة الحسينية الحاكمة، وتأليف حكومة من وزراء تونسيين يختارهم من يعينه الباي لتأليف الوزارة وتولي وزارتها، وتكون الوزارة مسؤولة أمام مجلس الأمة التونسي. وللوزارة الحق في تكليف المقيم العام الفرنسي بإدارة السياسة الخارجية تحت مسؤوليتها وذلك ريثما تتمكن الحكومة من تسيير شؤونها

الخارجية بنفسها. وحدد الحزب موقفه من الجالية الأجنبية قائلا: «ونظـرا لـلحالة الراهنة يمكن للجاليات الأجنبية أن تنيب عنها ممثلين لا يمكن أن يتجاوز عددهم ثلث مجموع أعضاء المجلس، وذلـك رغما عن عدم أي حق شرعي يسمح للأجانب بالمشاركة في العمل التشريعي مع التونسيين. وهذه الحالة مرهونة بتمكين الأجانب من الامتثال للقوانين التونسية. ويجري انتخاب الأعضاء الأوربيين على مقتضيات خاصة تصدرها الحكومة بالاتفاق مع المقيم العام ويصادق عليها مجلس الأمة».

وتخصص مداخيل الميزانية التونسية لمصاريف المصالح العامة التونسية والجيش الوطني التونسي الذي لا يمكن استعماله بأي صورة لمحاربة شعوب تدين بالدين الاسلامي، دين الشعب.

ومع مرور الزمن ومواصلة الصراع المرير مع سلطة الحماية وحكومة الباي والحزبين الإصلاحي والمستقل، توصل الحزب الدستوري في مؤتمره المنعقد يومي 12 و 13 ماي 1933 بنهج الجبل إلى التأكيد على تحرير الشعب التونسي، والعدول عن سياسة التعاون مع نظام الحماية، وإعطاء البلاد نظاما دستوريا يحقق سيادة الشعب بواسطة مجلس تونسي منتخب انتخابا عاما وحكومة مسؤولة أمام هذا المجلس والفصل بين السلطات ومنح الحرية والتعليم الإجباري وحماية الحياة الاقتصادية للبلاد.

* وبناء على هذه البسطة، وعلى ما جاء في هذا البحث المتواضع، فقد اعتبرنا أن الحزب الحر الدستوري التونسي كان حزبا سلفيا إسلاميا وحدويا عربيا إسلاميا، داعيا ومجاهدا

ومصرا على أن تبقى تونس مرتبطة بحضارتها وبأشقائها العرب والمسلمين، وبناء دولة ترفع عليها راية الإسلام.

أما حزب الديوان السياسي، فبناء على برنامجه ومفهوم الاستقلال الذاتي الذي يهدف إليه، وطريقة المراحل التي اتبعها، وفكرة الاتحاد المتوسطي التي عمل على تكريسها، فهو حزب علماني تطبق فيه اللائكية نظاما ثقافيا واجتماعيا، ويهمش فيه الدين الإسلامي ليصبح مجرد طقوس لا دخل لها في تسيير الشؤون العامة للأمة.

وهذان النهجان اللذان انتهجهما الفريقان بعد الانشقاق سنة 1934، أديا بنا إلى أن لا نعتبر (الديوان السياسي) امتدادا للحزب الدستوري، ذلك أنه وضع برنامجا خاصا به اعتمد فيه على سياسة المراحل. ولهذا فإننا اعتمدنا ذكر (الحزب الحر الدستوري التونسي) بدل ما كان يسمى (الحزب الدستوري القديم)، و (الديوان السياسي) بدل (الحزب الدستوري الجديد). وهما اسمان أطلقا على الفريقين سنة 1934 دون عقد مقارنة بين برنامجيهما. فالحزب الدستوري التونسي بقي ملتزما ببرنامجه، أما (الديوان السياسي) فهو حزب جديد أسسه أنصاره ببرنامج جديد اعتمد على قاعدة الحزب الدستوري التونسي لينطلق في تنفيذ برنامجه الخاص.

فهل يمكننا أن نعتبر جهود السلفيين التونسيين ضاعت هباء منثورا، وأن جهود العلمانيين قد رسخت في المجتمع التونسي وأصبحت واقعا معيشا ؟.

وهـل لنا أن نتساءل لماذا نفي الثعالبي سنة 1898، وعاد إلى تونـس سنة 1902 يحمل فكرة الجامعة الإسلامية فقوبل بالشتائم في الوسط الشعبي، والسجن والنفي في سبيل مبدئه.

وتشـابهت عـليه الأيام فنفي للمرة الثالثة سنة 1923 وكابد وانتصـر وعاد إلى تونس سنة 1937 فقوبل بالشتائم والرصاص لـلمرة الـثانية. ومـع ذلـك صمد على فكره الوحدوي العربي والإسلامي.

فمـا أقـوى صـبر الزعيم وما أرحم قلبه وما أوسع صدره وأرحـبه وهـو القـائل: «لو لم أقدم حياتي ضحية كبرى للأمة التونسـية لكـانت بلادنا تسير اليوم بخطى كبيرة نحو الاندماج الكلي... ونكون... مبعدين عن العروبة والإسلام !...»

وأملـنا في أن تقوم النهضة المنبعثة حاليا في تونس الشقيقة بإعـادة الاعتبار لأهله في إطار العناية بالتاريخ التونسي المجيد الذي هو جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية الإسلامية.

قسنطينة / الجزائر

في 19 فيفري 1990. يوسف مناصرية

صراع الحزب الدستوري
والديوان السياسي في تونس
1937 - 1934

ظهـــر جماعة من التونسيين المتخرجين من الكليات والمعاهد الفرنسية أسس أعضاؤها سنة 1932 جريدة باللغة الفرنسية أطلقوا عليها اســـم (العمـــل التونســـي) ونظرا لنشاطهم الكثيف وجهودهم في سبيل قضـــايا الوطن انتخبهم مؤتمر نهج الجبل سنة 1933 أعضاء في لجنته التنفيذية. غير أن التباين الثقافي والانتماء الفكري بين الفريقين سرعان ما أديا إلى تقسيم الحزب الحر الدستوري التونسي.

فقـــد كـــانت جماعـــة العمل التونسي غربية الثقافة وعلمانية المـــنهج فـــلم تتفق مع أعضاء اللجنة التنفيذية الذين كانوا في أغلـــبهم مـــن ذوي الـــثقافة العـــربية الإسلامية والفكر الشرقي المتدين[1]

---

(1) قـــارن الأســـتاذ حمـــزو حسين رؤوف بين أعضاء الدستورين القديم والجديد (اللجنة التنفيذية والديـــوان السياســـي) وزعمائهمـــا، ولـــم ير خلافا ثقافيا بينهم اعتبارا بأنهم تخرجوا من مدارس وجامعـــات ومجتمع واحد. والقضية في نظرنا لا تعتمد على المدرسة التي تخرج منها الفرد ولكن عـــلى مدى محافظته على مقومات شخصيته الدينية واللغوية والحضارية ومدى قدرته على الاستفادة من الثقافات الأخرى واستخدامها في صالح ثقافته. انظر:
HAMZA,Hassine-Raouf, «Eléments pour réflexion sur l'histoire du Mouvement National pendant l'entre deux guerres : La Scission du Destour de mars 1934», in les Mouvements Politiques et Sociaux dans la Tunisie des

ويمكـــن أن نعتبر جوهر الخلاف يكمن في أن أعضاء اللجنة التنفيذية قد تشددوا في المحافظة على الدين ورفضوا فصله عن السياسة باعتبار أن الإسلام دين ودولة. واعتبرت جماعة العمل ذلـــك إغراقا للقضية التونسية في الوحل، وتمزيقها بين السلطة الروحية والسلطة التنفيذية.

وكان دليل أصحاب (العمل التونسي) أن الحزب أصبح، بمزجه بين السياسة والدين، يعتبر طريقة صوفية ذلك أنه يفتتح جلساته بتلاوة الآيات القرآنية، وتؤثث قاعة للصلاة في نواديه، ويشترط على من أراد الانخراط فيه أن يقسم اليمين بالله يمين الإخلاص[1].

وبـــدأت روح الشقاق تنخر الحزب الدستوري من الداخل، إذ استقال جماعة (العمل التونسي)، وراحوا يؤلبون رؤساء الشعب الدستورية على اللجنة التنفيذية، مستعملين في ذلك جميع الطرق المشـــروعة وغيـــر المشـــروعة واســـتعمال الجهوية والطرقية وغيـــرها مـــن خصـــوم الإصلاح الاجتماعي والديني الذي كان يـــتزعمه الحـــزب الدســـتوري[2]. وعقـــدوا مؤتمرا لهم بتاريخ 2 مـــارس 1934 بمدينة قصر هلال. وخطب فيه الحبيب بورقيبة مؤكـــدا أن أعضـــاء الديـــوان السياسي[3]، الذي تأسس في هذا

---

amées 1930, l'acte du 3éme séminaire de l'histoire du Mouvement National, mai 1985), Tunis, 1987, pp.51-78.

[1] أحمد خالد، شخصيات وتيارات، ط2 تونس، مؤسسات ابن عبد الله. 1976، ص 182.

[2] كـــان حـــزب الدســـتور التونسي حزبا سياسيا وإصلاحيا يحارب الاستعمار الفرنسي من جهة والمشعوذين المضرين بالدين من جهة أخرى.

[3] أطـــلق بعـــض المؤرخيـــن اســـم (الدستور القديم) على جماعة اللجنة التنفيذية، واسم (الدستور الجديـــد) عـــلى جماعة الديوان السياسي. وتزعم هذه الجماعة أنها امتداد لبرنامج الحزب، والحقيقة أنها أسست حزبا مخالفا لبرنامج الحزب الدستوري ومطابقا لبرنامج الحزب الإصلاحي.

المؤتمر، سيطبقون في تونس طرق المقاومة الاوربية التي تعلموها في كليات فرنسا وفطرت عليها نفوسهم. وأنهم سينتهجون نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا قوامه العدالة والمساواة، يزيد فرنسا قوة ومتانة، ويكون الشعب التونسي قويا مرتبطا بالأمة الفرنسية لما بينه وبينها من تضامن لا ينكره أحد !؟.

وهل لنا هنا أن نلاحظ أن الديوان السياسي لم يلتزم أصلا بالبرنامج الذي قرره مؤتمر نهج الجبل سنة 1933، خلافا لما يدعيه، وأن برنامجه يشبه إلى حد كبير برنامج (الحزب الإصلاحي) الذي أسسه حسن قلاتي سنة 1921، ورفضه الحزب الدستوري وحاربه من أساسه. وذلك أن ادعاء الحبيب بورقيبة بأن اللجنة التنفيذية وحزبها ستعود بالشعب التونسي مراحل شاسعة إلى الوراء نظرا لتمسكها بمبدإ الاستقلال الكامل، وأنها سترمي به إلى ظلمات الأوهام الباطلة. وهو ادعاء خاطئ من أساسه – في نظرنا – في حق اللجنة التنفيذية، وينطبق بجميع معانيه على جماعة الديوان السياسي[1].

وكان الديوان السياسي قد قرر في مؤتمر قصر هلال سنة 1934 إقامة أعضاء اللجنة التنفيذية من الحزب، واعتبر نفسه امتداد للحزب الدستوري، وأن الخلاف واقع فقط بين أصحاب الديوان السياسي واللجنة التنفيذية. وطلب من الأمين العام

---

[1] يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص 167-175

لـــلحزب الدستوري، السيد أحمد الصافي، تسليمه وثائق الحزب وأثاثـــه. والواقـــع أن هذا التصرف كان من باب التكتيك الحربي والمـــناورات السياســـية ذلـــك أن أصحاب الديوان السياسي لو صـــرحوا بمعـــاداتهم لـــلحزب الدستوري ورفضهم لبرنامجه لما اتبعهم أحد.

والحقيقة التاريخية تثبت أن جماعة الديوان السياسي أسسوا حـــزبا جديـــدا لا يمـــت بصـــلة أصلا لبرامج الحزب الدستوري المعروف.

وكثر النزاع بين الفريقين ووجه أعضاؤهما سهامهم ضد بعضهم الـــبعض عوض تسديدها إلى صدر الاستعمار. وأذاع أصحاب اللجنة التـــنفيذية تصـــريحا أكدوا فيه على التمسك بمطالب حزبهم والسير بالبلاد نحو الاستقلال معتمدا على مقررات مؤتمر نهج الجبل.

وفـــي شـــهر مـــاي 1934 زار المقيـــم العام بيروتون مدينة المنســـتير والســـاحل التونســـي، وكان قد سره تأسيس الديوان السياسي، واستدعى الحبيب بورقيبة وجماعته وأخبرهم أن الإقامة العامـــة قـــد رخصـــت لهم في إخراج جريدتين بالعربية والفرنسية للتعبير عن نشاط حزبهم ونشر مبادئه[1].

واشتد النزاع بين الفريقين واحتار الشعب التونسي أي فريق يتـــبع. وراح كثير من الناس يراسلون الشيخ الثعالبي الذي كان فـــي رحلـــته إلى الصـــين، ويستنجدون به لجمع كلمة الشعب، ويستنصحونه أي فريق يتبعون. وأكدوا عليه أن يسرع بالعودة

---

[1] تحمل الجريدة العربية اسم (العمل) والجريدة الفرنسية (العمل الحر).

لإنقـــاذ الموقف[1]. ويدعي بورقيبة أن المقيم العام هو الذي فكر فـــي استجلاب الشيخ الثعالبي وأنه كان صنيعة لفرنسا[2]. وهذا ادعـــاء بـــاطل أثبتت خطأه مواقف الثعالبي الصلبة طوال حياته، وكذلـــك تقاريـــر الســـفارات الفرنســـية في المشرق التي تصفه بالمشاغب، ورأت بقاءه هناك أفضل من رجوعه إلى تونس لأنه سيسبب لها متاعب كثيرة.

وكـــان الثعالبي قد منعته سفارة فرنسا في القاهرة من العودة بدعـــوى أن ممثـــلي الشـــعب التونسي لا يرغبون في رجوعه إلى تونـــس. وذكرت له السفارة اسم (أحمد الصافي) من بين المعارضين لرجوعه. ولما طلب الثعالبي من صديق له في تونس توضيحا، ذكر له سبعة أسماء من بين العشرة الذين تكاتفوا من أجل منع رجوعه.

وتقـــول الرسالة التي نشرتها النهضة بتاريخ 2 ديسمبر 1934 أن أحمـــد الصافي صرح في خطابه أمام أعضاء اللجنة التنفيذية والديـــوان السياســـي، بأنـــه لم ينصح الحكومة بمهاجمة حرية زعمـــاء تونـــس الحـــاليين ولكنه أشار فقط إلى بعض الزعماء المقيميـــن فـــي المشـــرق. وليس غير الثعالبي[3] غير أن الأمر يحتاج إلى تمحيص، ذلك أن أحمد الصافي نشر تكذيبا في جريدة

---

[1] عبد العزيز الثعالبي، الكلمة الحاسمة، تقديم حسن أحمد جغام، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، 1989، ص23.

[2] الحبيب بورقيبة، حياتي آرائي جهادي، نشريات كتابة الإعلام، تونس، 1978، ص85.

[3] انظر: A.O.M. Aix –en Provence, 26 H1, Secrétariat général du Gouvernement Tunisien, Bulletin Mensuel, Nahda du 2 Décembre 1934.

(الـــنديم) يوم 8 ديسمبر 1934[1] ورد على الاتهامات التي وجهت ضـــده، ونـــفى معارضـــته لعـــودة الثعالبي إلى تونس[2]، وذلك بالإضافة إلى الاتهام الصريح الذي وجهه محي الدين القليبي إلى الديـــوان السياسي صانع الحدث[3]. ولا نعرف أنه وقع نزاع بين الصـــافي والقليـــبي، ولا نعتـــبر ذلك في مصلحة حزبهم. وتبقى المصـــلحة الوحيـــدة مـــن عـــدم عودة الثعالبي لصالح الديوان السياسي ريثما يجهز نفسه للقائه مثلما سيفعل سنة 1937.

وكـــان الـــرأي العام التونسي يطالب بالإجماع بعودة الثعالبي لكي يتمم حياته وسط أهله بعد نفي طويل، ويعالج أمور البلاد[4]

وعدل الشيخ الثعالبي عن رحلته إلى الصين وقفل راجعا إلى الهند[5] ولما وصل إلى مصر وجهز نفسه للسفر، منعته السفارة

---

(1) انظر: M.S. Lejri, Evolution du Mouvement National Tunisien, M.A.T, Tunis,T.2 p.176.

(2) أحـــدث هـــذا الـــتكذيب انتقاد الطيب بن عيسى في جريدته (الوزير) تحت عنوان (حول جواب الصافي، وثيقة تاريخية)، الصادرة بتاريخ 3 جانفي 1935. انظر:
- A.O.M. Aix en Provence 26 h2. Secrétariat général du G. Tunisien, Bul Mensl., Janvier, 1935.

(3) قال القليبي إن الديوان السياسي أوعز إلى بعض الصحف أن تأخذ تصريحا يفيد انضمام الثعالبي لـــه. ولما فشل الديوان أوعز إلى بعض الفرنسيين بمنع الثعالبي من الرجوع إلى تونس بدعوى أنه يـــثير الهرج في البلاد. وقامت السفارة الفرنسية بهذه المهمة. انظر: مركز التوثيق القومي تونس، A 4-24، القليبي، (كلمة صريحة إلى جناب المقيم) الإرادة في 30 أوت 1934.

(4) انظر: A.O.M., op. Cit – 26 H2.

(5) يقـــول الثعالبي: لما وصلت بومباي كتبت إلى الصديق الحميم الشيخ علي كاهية أندبه إلى دعوة الشـــقين المتـــنازعين إلى الوفاق وان تعسر فإلى هدنة موقوته تقربها عين المشفقين على مصلحة الأمة التونسية ولكي لا أستقبل حين رجوعي شقاقا بين الذين خلفوني على تسيير الفكرة الدستورية في البلاد. الثعالبي، الكلمة الحاسمة، ص 24-25

الفرنسية من العودة بحجة أن هناك بعض أعضاء الحزب طلب عدم عودته، ورجع الشيخ إلى القدس بعدما تأكد من أن الإجراءات المتخذة ضده من طرف الاستعمار ما زالت سائرة المفعول. وهناك في فلسطين شارك الثعالبي في المحاضرات التي تنظمها مختلف الشخصيات الإسلامية من أجل توحيد المسلمين. وقد طلب منه الذهاب إلى سويسرا والاستقرار فيها حيث يستطيع الاتصال بجميع الحركات الإسلامية المتمركزة في أوربا[1].

وفي هذه الاثناء لم تنقطع رسائل التونسيين عن الثعالبي تطالبه بالعودة. وهذه رسالة بعثها الشيخ الثعالبي إلى المنصف المنستيري نشرتها جريدة الإرادة بتاريخ 6 ماي 1934، جاء فيها تعبير عن إخلاص الثعالبي لمنهاجه وللذين تركهم للقيام بالدعوة الدستورية في تونس. وعبر لهم عن حبه الذي أساسه اقتناعه «بأنكم سلاح الله المنتصر، وحماة الأمة المنهزمة وأبطال الدين الصحيح... ولقد ساندتموني عندما خانني وعاندني الحمقاء. ومن أجلكم وقفت في وجه أعداء الوطن وخصوم الفضيلة... وإذا اعتبرتكم جنودا فإن ذلك يعود إلى اليمين التي أديتموها إلى الله أنكم ستقاتلون حتى النصر، إلى أن يسود العدل وتنتصر الحرية. إني مخلص لكم... ما دام هناك جزء مني- مهما كان

---

(1) انظر : - A.O.M. Aix en Provence, 27 H6 Ministère de la guerre, Etat Major de l'Armée, Gouvernement général d'Algérie, Bulletin de Renseignements Mensuel, Paris, le 11 Septembre 1934.

ضـــعيفا- يتحرك. وإن لى ثقة بأن الله لم يخلقني لنفسي ولكنه خلقني إلى بلدي المضنى»[1].

وكـــانت اللجنة التنفيذية لما تأكدت من نوايا أصحاب الديوان السياســـي، عقدت مؤتمرا للحزب الحر الدستوري التونسي، يوم 26 أفـــريل 1934، وجـــه إلى تعويـــض قـــادة (العمل التونسي) المنشـــقين، بآخـــرين[2] وأكد المؤتمرون على تمسكهم بمبادئ الحـــزب رغـــم الخلافـــات الداخـــلية، وأن يســـيروا بالبلاد نحو الاســـتقلال، وحـــدد المؤتمـــر النقاط العريضة التي تسمح لـــه بالمحافظـــة على الشخصية الوطنية وعلى سلطة الشعب. وركز خاصة على المطالبة ببرلمان تونسي منتخب بالاقتراع العام، مع التمـــتع بالســـلطة التشـــريعية وحـــق المراقبة، وإيجاد حكومة مســـؤولة أمـــام هذا البرلمان، وفصل السلطات الثلاث واستقلال العدالـــة التونسية وبسطها لتشمل جميع السكان، وإعطاء جميع الحـــريات لكـــل التونسيين بدون تمييز، وإجبارية التعليم للجميع وحماية اقتصاد البلاد[3].

---

(1) انظر:

- A.O.M. Aix-en Provence 26 H2, Sect. Gl du Gt. Tunisien, service de la presse musulmane et de l'interprétariat, Revue mensuelle, Avril-mai-Juin 1934.

(2) هـــم الســـادة أحمـــد توفيـــق المدني، الشيخ الطيب رضوان، محمد بن ميلاد، الهادي بن فرج، والهادي الزبيدي.

(3) انظر:

- A.O.M. Aix –en Provence, 27 H6, Ministère de la guerre, Etat-Major de l'Armée, Gouvernement Général d'Algérie, Bulletin de Renseignements mensuel, Paris, le 11 Juin 1934.

ويمكن ملاحظة الفرق بوضوح بين برنامج الديوان السياسي في مارس 1934 وهذا البرنامج، وقد اعتمد الديوان على سياسة (خذ وطالب) ورفض مبدأ الاستقلال الكامل واعتبره (سياسة عقيمة).

ووصفت جريدة (الإرادة) بتاريخ 3 جويلية 1934 الأسباب الحقيقية التي دفعت بالبلاد إلى التفرقة وجعلها فريسة للخلافات والتمزيق اللا محدود. واعتبرت ذلك يعود أساسا إلى غياب الشيخ عبد العزيز الثعالبي الزعيم الموحد[1]، وإلى الأزمة الاقتصادية الحادة التي اجتاحت البلاد، وتشدد المقيم العام الفرنسي في سياسته المضرة بالبلاد. واستخلصت أن ذلك سبب سقوط تونس فريسة للاستعمار والأغراض الشخصية[2].

ونشرت جريدة (النهضة)- ذات الميول إلى الديوان السياسي - بتاريخ 2 ديسمبر 1934، رسالة تزعم أن الشيخ الثعالبي بعثها من القاهرة إلى أحد أصدقائه بتونس[3]، اعتذر له فيها عن التأخير الذي كان سببه إقامته الطويلة في فلسطين ورجوعه إلى مصر ورحيله من الاسكندرية إلى القاهرة. وشكره على المعلومات القيمة التي وصلته حول أحداث تونس. وقد أحزنه الشقاق الذي وصل إلى ذروته « بين الزعماء المزعومين» وأحزنه أكثر سياسة حكومة الاحتلال التي تنتهجها ضد مطالب

---

(1) لاحظنا في كتابنا (الحزب الحر الدستوري) أن للثعالبي قدرة عجيبة على جمع الآراء وتوحيد الصف بين المتناقضات. وقد ظهر ذلك جليا مع بداية تأسيس الحزب سنة 1920.

(2) انظر: - A.O.M. Aix-en Provence, 26 H2..., Revue de Juillet-Aout-Sept. 1934

(3) قيل أن الثعالبي كان قد راسل شخصيات تونسية كثيرة وكذلك أهله وابنه وذلك قبل ظهور الرسالة التي نشرتها (النهضة). انظر:
- A.O.M. Aix – en Provence 26 H2, Bulletin de Janvier 1935.

الشـــعب المتواضـــعة. ووصـــف النظام الاستعماري في تونس بالاســـتبداد والظلم الذي أضر بمصالح الشعب وترك ألما عميقا فـــي نفس الثعالبي. وأن البلاد ذاهبة إلى الخسارة بسبب إيمان «الشعب – من غير تبصر– بزعماء مزعومين والذين في أغلبهم ليسوا سوى محتالين».

وحـــدد الثعالبي الصفات التي يمكن أن تتوفر في ممثلي الأمة التي يجب أن تختارهم بناء على نتائج أفعالهم «وحسب تحكمهم في تسيير الأحداث، ولهم نشاط منتج أكثر وهم أقدر من غيرهم عـــلى اغتنام الفرص وخلقها لصالح الأمة» وهؤلاء هم أخلصهم ويســـتحقون كسب ثقة قيادة الأمة. ولاحظ أنه من العقم المحزن، أن تختار الأمة « قادتها من بين مجهولين لا يمتازون بأية صفة حقيقية، إذا لم نقل ألقاب جامعية مغشوشة، وذلك لا يؤكد أبدا أن الحائزين عليها هم قادرون على أن يصبحوا قادة سياسين حيث لابـــد لذلك من ميزات أخرى: وعي وإخلاص قاطع، وتجربة في الشؤون العامة» .

ونـــفى الثعالـــبي على مدعي القيادة في تونس ذلك لأنهم لا يهدفـــون سوى إلى تنويم أعصاب الأمة، والحصول على صوتها لكي يروجوا الدعاية لأنفسهم بدون مقابل.

وبيـــن الثعالبي أن أعداء الأمة الحقيقيين هم الذين يستغلونها للحصـــول عـــلى السلطة دون التضحية بأي شيء من أجلها من ثـــرواتهم وراحتهم ودون أن يعرضوا أنفسهم إلى تلك الضربات القويـــة التي لا تصيب إلا الرؤوس «وليسوا رؤوسا أبدا ولكنهم

«أذنـــاب مبتورة» لأنهم يتناحرون بينهم ودخلوا في لعبة الأجانب ضد حريات وحقوق أوطانهم[1].

وبقـــي الفريقان يصارعان الحماية كل على طريقته من جهة ويتصارعان فيما بينهما من جهة أخرى. وكانت السنوات الواقعة بين 1934 و 1937 تاريخ رجوع الثعالبي إلى تونس أشد السنوات صراعا.

وقـــد فســـر البعض بأن الصراع بين الطرفين كان على أشده وتمركـــز خاصـــة حول مسألة مفهوم الاستقلال، وطرق الكفاح، وكانت طرق العمل والخلافات الشخصية هي العناصر الهامة التي حددت تطور العلاقة بين الحزبين[2].

وركـــز الحـــزب الدستوري على الشعور الديني والانتماء إلى مجتمع إسلامي وحافظ على وجهه الوطني المتصلب. وكان ينظم حملاتـــه الإعلاميـــة حول فكرة (أنه لا يمكن أن ننتظر شيئا من الحكومـــة الفرنسية، وهذه هي الفكرة التي تميز الدستور على الديـــوان السياســـي. وركـــز على ديمومة الدولة التونسية التي عليها أن تبحث عن تحررها معتمدة على فكرة الجامعة الإسلامية

---

(1) انظر:

- A.O.M. Aix en Provence 26 H1, Sept Gl du G.T, Revue mensuelle, Nahda du 2 Décembre. 1934.

(2) انظر:

- Samia, El Mechat, «la guerre des deux Destours 1937-1939», Revue d'histoire Maghrébine, n° 25-26, 9éme année, (Tunis, Juin 1982) pp. 175-176.

المستمرة[1]. وكان يمثل المحافظة على التقاليد التونسية العريقة وربط تونس بالمشرق العربي، وكان يعمل من أجل إحياء الوحدة العربية الإسلامية[2].

وكان قادة الحزب الدستوري مصممين على انتهاج سياسة تؤدي حتما إلى استقلال البلاد الكامل. وجاء ذلك واضحا في تصريح الأمين العام للحزب، صالح فرحات، الذي رفض التعاون نهائيا مع فرنسا وانتقد إجراءات الحماية وحكومة الجبهة الشعبية التي ركزت فقط على مصالح الاستعمار الفرنسي في تونس. ونظم حملات إعلامية في المدن التونسية منها ماطر وفيريفيل في أكتوبر 1936 وذلك بالإضافة إلى ما كانت تنشره صحافته (الإرادة) و (الميثاق التونسي) الناطقة بالفرنسية[3].

ورفض الديوان السياسي مبدأ الإستقلال بمفهوم الحزب الدستوري معتبرا أن سياسة الكل أو لا شيء سياسة غير معقولة لأنها غير ناجعة، وينبغي مقاطعة المصريين على انتهاج هذا الخط. ويرى بورقيبة إن مفهوم الإستقلال لديه هو أمر خاضع بلا شك إلى شروط تتمثل في العمل على توثيق الروابط

---

[1] لجنة مصادر التاريخ التونسي في فرنسا، مجلة الوثائق، عدد 3،(تونس، 1985)، (تقرير الإقامة العامة حول الحالة السياسية الأهلية في تونس، ديسمبر 1937).

[2] انظر: - HAMZA, op. Cit., pp. 51-78.

[3] انظر: - A.O.M. Aix, 26 H3, Rol. Gl., Analyse de la presse tunisienne, Octobre 1936.

مع فرنسا، ولابد أن يكون مفهوم التحرر والإستقلال بان يتحققا بموافقة فرنسا وتحت ظلها[1].

ومعنى التحرر، كما فسره بورقيبة، يكون في فلك فرنسا وليس من الضروري أن يلغي هذا التحرر جميع معاهدات الحماية[2].

ويقول بورقيبة: « وإذا كنا لم نيأس بعد من فرنسا... التي كونتنا ورسخت في نفوسنا المبادئ المكونة للإنسان الأفضل فلأننا مقتنعون بأن صوتنا لم يبلغ بعد مسامع شعب فرنسا»، وقال «إننا نريد من فرنسا أن تحكم مع الشعب التونسي وليس مع الأعيان»[3].

وبينما امتنع الحزب الدستوري عن التعامل مع السلطة الاستعمارية، فإن الديوان السياسي اعتمد على الانحياز إلى حكومة الجبهة الشعبية، وقبل مبادئ السيادة المزدوجة والحقوق المكتسبة، واتبع سياسة المراحل[4].

ولم يتوقف عند هذا الحد بل دعا إلى تأسيس مجموعة متوسطية فرنسية تكون تونس جزءا منها، وذلك أن بورقيبة، في خطابه بباريس في فيفري 1937، قد ركز على تدعيم حكومة الجبهة الكامل لتونس والجزائر والمغرب الأقصى... ويجب أن

---

(1) كاميل بيقي، رسالة بورقيبة – سياسة إنسان، ترجمة رياض المرزوقي وتوفيق بن عامر، ومراجعة أحمد العابد، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1981، ص 94.

(2) مركز التوثيق القومي، تونس، رقم B3-33، الماطري (العمل التونسي) في 1937/2/27.

(3) بيقي، ص 95.

(4) انظر: E L- MECHAT, pp. 175-176.

يتـــبع ذلك عملية الاندماج الحر يترك فيه الاختيار إلى كل واحد من البلدان الثلاث في نظام متوسطي اتحادي[1].

وكـــانت فكـــرة (الاتحاد المتوسطي) جزءا من سياسة فرنسا تهدف إلى تطبيقها في جميع مستعمراتها.

هـــذه هـــي تقريـــبا المفـــاهيم التي كانت سائدة لدى الديوان السياســـي والحـــزب الدســـتوري عندما عاد الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس في 8 جويلية 1937.

وكـــانت فرنســـا تعتبر الثعالبي أكبر مشاغب لها في الشمال الافـــريقي كلـــه ولذلـــك منعت رجوعه إلى تونس، وكانت تتابع خطواتـــه أيـــنما حل في فلسطين وسوريا ومصر والهند. وكان المؤتمـــر العـــربي المـــنعقد بجنيف سنة 1936، قد اختاره لنشر دعوتـــه فـــي مصر والتكفل بالعلاقات مع الشرق الأوسط ضمن الوفد السوري الفلسطيني إلى جانب المفتي الأمين الحسيني[2].

وســـافر الثعالبي إلى الهند في أكتوبر 1936[3] لمعالجة قضية المنبوذين وتحويلهم إلى الديانة الإسلامية وترغيب المسلمين في

---

(1) مركز التوثيق القومي، رقم B3-33، جريدة (LA FLECHE) ، بتاريخ 20 فيفري 1937. وكذلك لجنة مصادر تاريخ تونس، مجلة وثائق، عدد 3 (تونس 1985).

(2) انظر: - A.O.M. Aix 29 H26, Rapport du Président du conseil, Ministre de l'Intérieur au Gouverneur Général d'Algérie, Paris, le 3 Juin 1936.

(3) انظر: - A.O.M. Aix 29 H 35, Gouvernement Général d'Algérie Alger du 23 sept. 1936.

قـبولهم، وبحـث ما يجب على المسلمين عامة أن يساعدوا به لتحقيق تلك الغاية[1].

وقضـى الشيخ الثعالبي أربعة أشهر في الهند وعاد إلى مصر ليقـدم تقريـرا مفصـلا عن أحوال المنبوذين في الهند إلىشيخ الأزهر الشريف، ثم غادر مصر متوجها إلى القدس الشريف التي وصلها في بداية جوان 1937. ونزل ضيفا عزيزا مكرما في بيت السـيد عـرفات بيطار. وكان في استقباله مجموعة من أعيان الـبلاد وعلى رأسهم المفتي الأمين الحسيني، وصياد طبطبائي، وأحمد حلمي باشا. وأقام المفتي الحاج الأمين وليمة على شرف ضـيفه ورفيقـه فـي الجهاد الإسلامي، كما أقام الحاج موسى عـرفة، عضـو اللجـنة الوطنية للقدس، وعبد الرحمان علني، والحـاج خـالد هدمـي ولاّـم عديدة على شرف زعيم تونس والداعية الإسلامي المبجل دعيت إليها شخصيات كثيرة من كبار علماء القدس الشريف.

وقام الثعالبي بتلك الزيارة ليبلغ الحاج الأمين الحسيني وبقية زعمـاء الوحدة الإسلامية بنتيجة مهمته. ويقول تقرير القنصل الفرنسي في القدس، السيد دومال (D'AUMALE)، الذي كان يتابع خطـوات الثعالبي بدقة، إنّ الثعالبي سيقضي أسبوعا واحدا في القـدس ليعود بعد ذلك إلى القاهرة لينظم بعض شؤونه الخاصة ومن هناك إلى تونس[2].

---

[1] طالع حول هذه القضية عبد العزيز الثعالبي، مسألة المنبوذين في الهند، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1984.

[2] انظر: -A.O.M. Aix 29 H 26, Consulat de France en Palestine. Lettre du consul général au Ministre des Affaires Etrangères, Jérusalem, le 2 Juin 1937.

وكـــان الثعالـــبي يحمـــل فـــي نفسه عداء تاريخيا للاستعمار الفرنســـي ولم يفتأ يندد بسياسة الاستبداد الفرنسية المطبقة في تونـــس، ووصل إلى الاقتناع بأنه لا يمكن تصور سلامة تونس بعدمـــا بـــلغ الاســـتبداد الاستعماري ذروته، إلا في إطار توحيد مصـــيرها بمصـــير أشقائها في الجزائر والمغرب الأقصى وليبيا وموريطانيـــا، وتوحيـــد المغرب العربي من المحيط إلى الحدود المصرية ومن البحر المتوسط إلى أعماق الصحراء[1].

ولا بـــد لـــنا مـــن ملاحظـــة الفرق بين هذه الدعوة ودعوة مجموعة الاتحاد المتوسطي التي دعا إليها بورقيبة، واعتراضه بالســـيادة المـــزدوجة والتمسك بالحقوق المكتسبة التي يدعيها الاســـتعمار، « وأن تكـــون تونس المعترف بسيادتها واستقلالها جزءا من الأمبراطورية الفرنسية القائمة على نظام اتحادي»[2].

ولا نعتقد أن وجه المقارنة وارد بين سلفية إسلامية وعلمانية أوربية.

ولاحظـــت الأســـتاذة غولد زيغر أن الفضل يعود إلى الأستاذ شـــارل اندري جوليان عند توليه اللجنة العليا للمتوسط سنة 1936، وعـــالج القضية التونسية، في إدخال بورقيبة إلى الحلبة السياسية الفرنسية وترقى بين عشية وضحاها من مناضل مشكوك فيه خطير

---

(1) حـــول فكـــرة الوحدة المغربية التي دعا إليها الثعالبي وابن باديس طالع محاضرتنا (زيارة ابن باديس إلى تونس وفكرة الوحدة المغربية 1937) المؤتمر الدولي بقسنطينة أفريل 1989 وكذلك:
- A.O.M. Aix 29 H 35, G.G.A., Alger, le 10/6/1937.

(2) الثعالبي الكلمة الحاسمة، ص 33-34.

إلى مخـــاطب مقـــبول. ولجوليـــان دور فعال في توجيه السياسة المغربية، وكان يقول «لست صانعها، وإنما النافخ فيها»[1].

وكـــان الشـــيخ الثعالـــبي لا يتكـــلم إلا عن الإسلام، الإيمان، والتقاليد الإسلامية، والقوى العقلية للمسلمين القادرة على توحيد عالم إسلامي يقع بين جاوا وطمبوكتو. وكان يركز على الإيمان الـــذي بـــه «نـــنقذ أنفسنا وهو يقوينا ويحصننا وبالإيمان يكون الشـــباب المســـلم جـــنودا لله»[2] وكان لا يتحدث إلا عن الوحدة والاتحاد، وقد تدارس ذلك مع الشيخ ابن باديس لما زاره في 25 جويلية 1937 بتونس.

وكـــان الشـــيخ الثعالـــبي عند مغادرته للاسكندرية يوم فاتح جويلية 1937، قد صرح للصحفيين المصريين قائلا: «إن لي ثقة فـــي المستقبل، وإني أتمنى أن تتحقق طموحات وأماني شعوب الشمال الافريقي العربية مثلما تحققت طموحات شعوب المشرق العربي»[3].

وعاد الثعالبي إلى وطنه يوم 8 جويلية 1937، بعد أن بقي في المنفى من شهر أوت 1923 إلى ذلك الحين[4]. واضطربت أحوال الديـــوان السياسي، وفكر في احتوائه، ولذلك أسرع بورقيبة إلى إيفاد صالح بن يوسف لمرافقة الثعالبي من مرسيليا إلى تونس،

---

(1) انظر:

Rey-Gold zeiguer, Annie, Pour une histoire du haut Comité Méditerranéen, ch.A. Julien : Acteur et Témoin, Mt. Pour Hist. Tunisie année 1930, pp.329-331.

(2) لجنة مصادر تاريخ تونس، وثائق، عدد 3، تقرير الإقامة العامة، ديسمبر 1937.

(3) المصدر نفسه.

(4) خصصنا فصلا لحياة الثعالبي وتتبعنا نشاطه في المشرق والهند في كتابنا (الحزب الحر الدستوري التونسي).

ونظم الديوان السياسي حفلا بهيجا لاستقباله وأراد من وراء ذلك كسبه إلى جانبه وعزله عن اللجنة التنفيذية التي لم تأت لاستقباله من ناحية وكسب ثقة الشعب التونسي بالتزلف إلى الثعالبي من ناحية أخرى.

غير أن الأمر كان على غير الشاكلة التي تصورها بورقيبة، إذ رأى الثعالبي يريد توحيد الصف وتوجيهه نحو الوحدة العربية الإسلاميّة وكان يهاجم في خطبه فكرة (الطمانية) ويمجد الوحدة العربية والإسلاميّة فتخوف بورقيبة وانذهل من أن تحتوي هذه الأفكار أذهان الناس ويتفرقون من حوله[1].

وخطب الشيخ الثعالبي أمام الجماهير الشعبية التي استقبلته قائلا: «لقد جئتكم بسلام شعوب المشرق العربي الذين يساندون حركتكم، وإنّ الشعوب العربية لا يمكنها أن تعيش بعيدة عن بعضها البعض، لا بد من الوحدة، وإنّ شعوب المشرق تتابع الحركة التونسية خطوة خطوة وإنّ بلادنا تونس لا بد عليها أن تكون مركزا للوحدة العربية»[2].

ولما استقبل من طرف المقيم العام يوم 13 جويلية 1937، وكان برفقته الدكتور الماطري والحبيب بورقيبة، قال الثعالبي مخاطبا المقيم: «إنّ كلاما عن تحرير تونس وبلدان الشمال الافريقي لا يمكن أن يقلق ممثل قوة تفرض عليها مصالحها وعبقريتها أن تتبع سياسة عدل وتحرر مع شعوب الشمال الافريقي المسلمة»[3].

---

(1) انظر: - Lejri, p. 175-180.

(2) انظر: L. Mohendis, En Tunisie, Afrique française, Juillet 1937, pp. 463-471.

(3) المصدر نفسه.

ولمـــا استقبل الثعالبي يوم 19 جويلية 1937 من طرف الباي، لاحظ الديوان السياسي تفوق شخصية الثعالبي عليه في الساحة السياســية، خاصـــة وأنـــه أصـــبح يتصدر جميع الأحداث على المســـتوى الشـــعبي والرســـمي.فـــلم يقبل الديوان ذلك، وبدأت الخلافـــات تـــدب فـــي نفـــوس زعمائه. ولاحظت مجلة (افريقيا الفرنســـية) ذلك بقولها: «غير أن الثعالبي يجب أن لا يهنأ بهذا النجاح، لأنه سيسحب منه، ليس على يد الإقامة العامة ولا على يد المعمرين، ولكن على يد الديوان السياسي الذي له أنياب حادة وأظافر طويلة »[1].

وأصـــدر بورقيـــبة أوامره بمقاطعة اجتماعات الثعالبي ونزع الـــثقة مـــنه، ومنع حضور أي اجتماع للشعب مستقبلا إلا للذين دفعـــوا الاشتراكات. وراح يجوب مدن سليانة ومكثر والوسلاتية لتأســـيس شـــعب دســـتورية جديدة[2]. وكتب في جريدة (العمل التونســـي)، يـــوم 30 جويلية 1937 «عندما يلبي الجميع النداء، ويحـــتل كل تونسي مكانه في صفوف الحزب، تكون حينئذ حرية بلادنا أمرا مكتسبا»[3].

وواصـــل الثعالـــبي دعوته الوحدوية الإسلامية، وتباحثها مع الشـــيخ عبد الحميد بن باديس يوم 25 جويلية 1937، وركز في الخطـــاب الـــذي ألقـــاه عـــلى ضرورة وعي المسلمين بعيوبهم

---

[1] المصدر نفسه.

[2] لجري ، ص 182 وكذلك (افريقيا الفرنسية) المصدر نفسه.

[3] لجـــنة مصادر تاريخ تونس في فرنسا، مجلة وثائق، عدد 9، (1988)، (تقرير الأمن إلى المقيم العام بتاريخ 4 أوت 1937).

والانتباه إلى وضعيتهم السيئة التي لا تشرف تاريخهم، وأنه ليس لهم من مخرج سوى العودة إلى الإيمان[1].

ولما لم يجد الثعالبي مخرجا من مأزق الخلاف والنزاع بين الحزب الدستوري والديوان السياسي، اقترح «توحيد الفريقين واستمرار التجانس في الفكر والتناسق في العمل فيما يخص سياسة البلاد. ويكون ذلك بواسطة تأليف لجنة عليا تسمى لجنة النظر والبحوث السياسية تتركب من ثمانية أعضاء تحت رئاسة الثعالبي ينتخبون من الهيأتين (اللجنة التنفيذية والديوان السياسي) وما تقرره هذه اللجنة يقع عرضه على الهيأتين لإعطائه الصبغة التنفيذية»[2]. هذا ما أكده الثعالبي في تقريره (الكلمة الحاسمة) وهو أيضا ما أكدته تقارير الإقامة العامة الفرنسية في تونس التي أضافت بأن هذه اللجنة العليا تقوم أيضا بالمراقبة المالية والتسيير السياسي[3]. وذلك بخلاف ما جاء في قول الأستاذ لجري من أن الثعالبي كان يهدف إلى زعامة الحزب وإقصاء الديوان السياسي وإلغاء مبادئه، وأن يضع هو نفسه البرنامج الذي يجب أن يسير عليه الحزب الموحد[4].

ورفض الديوان السياسي هذا الاقتراح من أساسه وطالب بعقد مؤتمر عام ينتخب مكتبا جديدا لتسيير شؤون الحزب. واعتبر الثعالبي ذلك من مهام الهيئتين، وهو أمر تنظيمي وفي صالح

---

(1) أرشيف ولاية قسنطينة، (SLNA) (تقرير الأمن العام إلى الجنرال القائد الأعلى للقوات العسكرية بتونس، يوم 26 جويلية 1937).

(2) الثعالبي الكلمة الحاسمة، ص 48

(3) انظر: - A.O.M. Aix 26 H3, Rd Gl, Tunis, Analyse du 1 au 15/9/1937.

(4) صالح (لجري) ص 175-180.

الأمـــة، ولا يهدف إلى الإلغاء. وفسر الديوان السياسي ذلك بأن الثعالبي يريد توحيد الحزب دون استشارة القاعدة الشعبية[1].

ويجب أن نلاحظ أن الديوان السياسي كان يعتبر نفسه امتدادا شـــرعيا لـــلحزب الدستوري، ويعتبر اللجنة التنفيذية ملغاة منذ مؤتمـــر قصر هلال 1934. والحقيقة أن الديوان السياسي لم يكن كذلك لأنه غير طرق عمله ومواقفه، ولم يلتزم بمقررات مؤتمر نهج الجبل 1933، رغم أنه يزعم عكس ذلك. أما بالنسبة لتمسكه بضـــرورة انعقاد مؤتمر عام، فلأن ذلك يضمن له النجاح الكامل وهـــو الـــذي يمـــلك الأغلبية الساحقة من المناضلين[2]، ذلك أن الديـــوان السياسي عمل جادا في تأسيس الشعب الدستورية منذ 1934 وأكـــثر مـــنها حتى بدون منخرطين كافين لأن الهدف هو الحصـــول على الأغلبية في حالة انعقاد مؤتمر عام. بينما أبقت اللجـــنة التنفيذية على نفس الشعب تقريبا رغم عدد المنخرطين المتفوق.

ولاحـــظ الثعالبي أن أعضاء الديوان السياسي، بهذا التصرف، كـــانوا يبيتون شرا للبلاد، وقال أنهم وضعوا اتفاقية جديدة تقوم مقـــام معـــاهدة الحماية يعترفون بالحقوق المكتسبة للفرنسيين ووجـــود سيادتين في البلاد، وتكون لهذه المعاهدة صبغة الرضا والاختيار من طرف التونسيين[3].

---

(1) كاميل بيقي، ص 82.

(2) انظر: - A.O.M. Aix, 26 H3, op.cit.

(3) راجـــع فكـــرة الاتحـــاد المتوســـطي فـــي (الماطـــري، جـــريدة العمـــل التونســـي، 1937/2/27.) مركز التوثيق القومي. تونس. رقم B3-33

وقد تأجج لهيب الخصومة كما لاحظت تلك **الإقامة العامة**. وتحولت إلى صراع سلطة ونفوذ، بالأخص عند **الديوان السياسي**. أما اللجنة التنفيذية فقد تجمع أعضاؤها حول الثعالبي **وباركوا فكرته** الداعية إلى توحيد الصف وأكدوا عليه ضرورة تجاوز **اقتراح بورقيبة** والسعي في الجولات الإعلامية لصالح وحدة الحزبين.

وبـــدأت الصحافة التونسية تنشر **المقالات** مؤكدة على الشعب اتباع فكرة الوحدة وتأسيس اللجنة العليا، **وأن** تلك إجراء عادل بخـــلاف الدعوة إلى المؤتمر الاستثنائي **التي** هي اجراء ملتبس ومـــبهم. غير أن الديوان السياسي سبق **هذه** الجولة الاعلامية، واقـــنع شـــعبه بوجـــوب انعقـــاد مؤتمر عام للبت في القضية. وتهاطـــلت البرقيات على الثعالبي من تلك الشعب تطالب بانعقاد المؤتمر[1].

وحـــتى يـــتأكد الثعالبي من نوايا الطرفين المتنازعين الديوان السياسي واللجنة التنفيذية، نظم اتصالات مع كل طرف على حدة لـــتفهم الوضع ودراسته. ثم باشر جولته الإعلامية يوم 27 أوت 1937 فـــي منطقة رأس بونه أين توجد بعض الشعب الدستورية التابعة للجنة التنفيذية، وكان مرفوقا باعضاء هذه اللجنة وأمينها العـــام الســـيد صـــالح فـــرحات، وكذلك قادة ومناضلي الديوان السياسي، واستقبل استقبالا حار[2].

وقـــام الديـــوان السياسي بحملة عنيفة ضد الثعالبي وفكرته الـــتوفيقية وعقـــد يوســـف الرويســـي، عضـــو مجلس الديوان

---

(1) انظر: - A.O.M. Aix 26H3, op cit.

(2) المصدر نفسه.

السياسي، اجتماعا في مركز القلعة الكبيرة بتاريخ 3 سبتمبر 1937، وصرح فيه: «بأن الثعالبي ماهو إلا خائن وجاسوس لحساب الاقامة العامة».

ورأى الشيخ الثعالبي ضرورة القيام بحملة إعلامية لفكرة الترابط بين الحزبين وتوحيد الصف وسد الطريق أمام المعارضين. وقام يوم 4 سبتمبر بجولة في منطقة الساحل، غير أن الحبيب بورقيبة سبقه إلى المنطقة وأقام ضده حملة اغتياب وقدح. ونظم أنصاره ضده. وحين وصول الثعالبي إلى سوسة استقبلته حشود غفيرة بالاعتداء والشتم. واضطر إلى مغادرة المدينة والتوجه إلى مساكن ونظم هناك اجتماعا. وألقى الثعالبي خطابا طالب فيه بالوحدة من أجل تحقيق استقلال تونس، غير أنه تعرض للانقطاعات المتواصلة هتف الحاضرون خلالها بحياة بورقيبة.

ولما رجع الثعالبي إلى مدينة سوسة منع من النزول وتعرض للإهانات، وكان عليه الهروب إلى منزل أحد أنصار اللجنة التنفيذية تحت حماية أصدقائه من هذه اللجنة، وليس تحت حماية الجندرمة كما ذكر بورقيبة في كتابه (حياتي آرائي). وتهاطلت الحجارة على المنزل وتعالت الأصوات تنادي بخيانة الثعالبي وحياة بورقيبة[1].

وكانت الصحافة قد زايدت في الحديث عن توقعات فشل المساعي الوحدوية لتقارب الحزبين، وحكمت على اللجنة التنفيذية بالفشل. وثار الثعالبي ضد هذه الانتقادات المغرضة،

---

[1] المصدر نفسه.

وطـلب من الصحافة العربية في تصريح له يوم 4 سبتمبر 1937 أن تمتـنع عـن معالجـة هذه المسألة «مادام لم يتخذ فيها رأي حاسـم وبقـراره (هو) النهائي... وأشار بأن نشر بيانه النهائي سيسمح للشعب أن يحكم على بعض الحقائق التي يجهلها إلى حد الآن».وأنكـر على الصحافة فتح أعمدتها إلى الدعاية المشؤومة وللصـيادين في الماء العكر. وحملها توقع فشل مساعي توحيد الصف[1].

واعتبر الديوان السياسي هذا التصريح لهجة تهديديّة، ونشر بلاغـا يـوم 5 سبتمبر رفض فيه مشاطرة الثعالبي رأيه الخاص بالإجراءات المتبعة لبناء وحدة الحزبين. وأنكر عليه أن يفرض عـلى الشـعب انـتظار حكمه الفاصل، وأن ينصب نفسه الحكم الأعلى، واعتبر ذلك تجاوزا لدوره التوفيقي.

وكـان رد الثعالبي في نفس اليوم واضحا إذ نفى فكرة توحيد الحـزبين من أساسها، وأن طرحها هو فقط من باب سوء النية الـتي تمـلك نفوس « زراعي الشقاق والنزاع». وأضاف قائلا: «إن ندائي في الحقيقة لا يهدف سوى إلى إيجاد تفاهم وسط من أجل تكوين ترابط بين الحزبين ووضع حد لسوء التفاهم تاركين لكل منهما حرية العمل» ثم اتهم بوضوح الديوان السياسي الذي يبحث عن تأجيج الانفعالات واستمرار النزاع[2].

---

[1] المصدر نفسه.
[2] المصدر نفسه

وفي يوم 5 سبتمبر توجه الثعالبي رفقة أعضاء اللجنة التنفيذية إلى السواسي وترأس اجتماعا هناك حضره 2000 شخص وجرت نزاعات واشتباكات بين أنصاره وأنصار بورقيبة. ورجع الثعالبي من هناك إلى تونس[1].

ومن جهته واصل بورقيبة حملته الاعلامية في القيروان والزلاس مرفوقا برؤساء شعب الديوان السياسي. واستأنف حملته التشهيرية والاغتيابية ضد الثعالبي وفكرته، ولم يكتف بما فعله في سوسة وغيرها. وانخرط الناس في شعب الديوان بهذه المناسبة ودفعوا الاشتراكات وفقا لخطة بورقيبة التي ذكرناها، والرامية إلى الإكثار من الشعب للنجاح في المؤتمر المزمع عقده[2].

وتتابعت اجتماعات شعب الديوان السياسي خلال الأسبوعين الأوليين من شهر سبتمبر 1937 في مختلف المدن التونسية لدراسة أسباب النزاع بين الحزبين وتفسيره.

وتفاقم النزاع وصار على أشده بين الثعالبي الذي يريد تحدي الزمن لتحقيق الوفاق بين الحزبين وتوحيد الحركة الوطنية التونسية والعمل على استقلال البلاد استقلالا كاملا وبين بورقيبة الذي يريد الزعامة وسحق اللجنة التنفيذية وإقصاء رجالها من على قمة الساحة السياسية وتنفيذ برنامجه القائم على السيادة المشتركة بين التونسيين والفرنسيين والتعاون مع سلطة الحماية

---

(1) المصدر نفسه وكذلك (افريقيا الفرنسية) المصدر السابق.

(2) انظر: -A.O.M. Aix 26 H3, op.cit., du 1er au 15/9/1937

وكذلك: H. Guerif ; pp. 1544-1566.

عـــلى تطبيق الإصلاحات. وبقيت اللجنة التنفيذية تسير في فلك فكرة الثعالبي وتتبعه وتحميه في جولاته الإعلامية. ولو أنها فعلت مـــا فعله الديوان السياسي من الإكثار في تأسيس الشعب والتجول في الجبال والوهاد، لتغير الموقف تماما ؟.

واســـتمرت دعاية الديوان السياسي المضادة للثعالبي وفكرته تسير دون ملل في جميع المدن الداخلية وشاركت صحف الديوان فـــي نشـــر الدعايـــة لـــه خاصة جريدتي (الزهرة) و (النهضة) اللتين تعتبران من أشياعه.

وتوصل بورقيبة إلى تكوين كتلة معارضة للثعالبي عملت على الوقـــوف أمامه في كل مكان قصده. وكان عليه أن يحافظ - أمام هذا الوضع، على سلامته، ويتوقف عن الحملة الإعلامية.

ولاحظـــت الإقامة العامة تعرض محاولة الثعالبي - للسيطرة على مقاليد الحركة الوطنية وقيادتها - للخطر بصفة جادة ورغم ذلـــك صمد الشيخ الثعالبي وصمم على عدم التخلي عن المعركة أمـــام خصـــم لـــــه شـــعبية واسعة ويتمتع بطاعة كاملة، وهي مستعدة لتحطيم المعارضة بجميع الوسائل حتى أعنفها. وقد عبر أنصار الديوان السياسي على ذلك بالفعل أثناء الأحداث المأساوية الـــتي حدثـــت فـــي نهاية سبتمبر في ماطر بينهم وبين أنصار الثعالـــبي. ولكـــن الثعالبي لم تثنه تلك التصرفات على مواصلة الاجتماعات في صمود وعزيمة لا تقهر محسسا بغايات الاستقلال

إليها وفضح أعمال الديوان السياسي ورئيسه واتهمهم بالتواطئ مع الحكومة الفرنسية وخيانة القضية[1].

وتطبيقا لفكرته تابع بورقيبة جولته الإعلامية المضادة للثعالبي ولفكرته في مناطق وادي مجردة وشمال البلاد والشمال الغربي التونسي، استقبلته خلالها الكشافة والشبيبة الدستورية بالأناشيد الوطنية. وتابع بورقيبة حملاته في كل من تستور يوم 17 سبتمبر، ومجاز الباب يوم 18 سبتمبر وبوعرادة يوم 19 سبتمبر والعروسة يوم 20 سبتمبر.

وخلال اجتماع مركز العروسة يوم 20 سبتمبر طلب السيد ماري (MARY EMILE)، رئيس جمعية المعمرين بالمركز المشاركة واغتنم بورقيبة فرصة حضوره ليركز على موضوع التعاون الفرنسي التونسي «الصريح والعادل والكامل»[2]، واقتنع السيد ماري بالفكرة العادلة (الغريبة)[3] وتعهد بعمل ما في وسعه لتحقيق ذلك[4].

---

(1) الثعالبي، الكلمة، ص 64-67. وكذلك.

- A.O.M. Dix 26 H3, op. cit, du 15 au 30 Septembre 1937.

(2) أنظر: - A.O.M.Dix , 26 H3, op.cit,

(3) يظهر وجه الغرابة في اعتبار بورقيبة مشاطرة الفرنسيين للتونسيين في حكم بلادهم من صميم العدالة ؟!

(4) أنظر: - Habib Bourguiba, La Tunisie et la France, Vingts ans pour une coopération libre, MAT., tunis, S.D., pp. 124-125.

كمـــا توجـــه بورقيبة يوم 21 سبتمبر إلى باجة، ويوم 22 إلى سوق الاربعاء، ويوم 23 إلى سوق الخميس، ويوم 25 إلى طبرقة ونفزة وببوش، وعين دراهم، والكاف.

وكـــان أعضـــاء الديـــوان السياسي الأخرون يقومون بنفس الجـــولات الإعلامية، إذ ترأس محمود الماطري. رئيس الديوان، رفقـــة بورقيـــبة، اجـــتماعا يوم 16 سبتمبر، وأكد على ارتباطه بـــالديوان وأميـــنه العـــام، ورد على الانتقادات المنتشرة حول تصرف بورقيبة في حق الثعالبي.

ولم يكن الدكتور الماطري دستوريا وإنما انجرّ وراء بورقيبة في بداية الانشقاق سنة 1934. ووصفته الإقامة العامة بأنه «قائد أكثر نزاهة وترفعا عن الحركة الوطنية»[1]، لأنه بارك جميع آراء بورقيـــبة المتعـــلقة بسياســـة التعاون، ولم يأخذ رئاسة الديوان السياسي إلاّ شكلا فقط...

وتـــرأس صـــالح بـــن يوسف، أمين مال الديوان السياسي، اجـــتماعين يوم 22 سبتمبر من السنة نفسها، في ربعة وسليانة. ونادت جميع الخطب في جميع الحملات الإعلامية بأحقية الديوان السياســـي من غيره بالقيادة والزعامة. ونددت «بخيانة» الشيخ الثعالبي[2].

وهاجمت جريدة (الارادة)، لسان حال اللجنة التنفيذية، بورقيبة وآخذتـــه عـــلى تحالفه مع الكولون ومخاصمة إخوته. وكان رد

---

(1) انظر: A.O.M.Aix , 26 H3, op.cit, fu 15 au 30 Sept.1937.

(2) المصدر نفسه وكذلك مجلة (افريقيا الفرنسية) المصدر المذكور.

بورقيبة قوله «هذا عمل المتعصبين الذين يريدون أن يعطوا سلاحا للذين يتهمونا بأننا نريد أن نرمي فرنسا في البحر»[1]. وبطبيعة الحال فإنّ المقصود بالتعصب هم الرافضون للتعامل مع فرنسا، والذين يتهمون الديوان السياسي بأنه يهدف إلى رمي الفرنسيين في البحر هم المعمرون. وها قد نال بورقيبة إعجاب أحد رؤساء المعمرين !.

ومن جهته لم يستسلم الشيخ الثعالبي إلى تهجمات أنصار الديوان السياسي وشتائمهم، واستأنف جولته الاعلامية وتوجه إلى ماطر يوم 25 سبتمبر مرفوقا بإعضاء اللجنة التنفيذية وعند دخوله إلى مقر شعبة اللجنة التنفيذية، تظاهرت جماهير كثيرة بشدة وحاولت منع الاجتماع. وانفجرت المعركة أطلق فيها الرصاص. وتدخلت السلطة واعتقلت الكثير من المتظاهرين وكان أكثرهم من أنصار الديوان السياسي تجمعوا من بنزرت وفيريفيل، وباجة، وكان أغلبهم يحمل أسلحة نارية وبيضاء. وكانت نتائج المعركة قتيل واحد، و14 جريحا، و60 معتقلا[2].

وكان الشعب التونسي يتابع الأحداث المؤلمة وتأثر تأثرا عميقا وتخوف من رد فعل السلطات الاستعمارية. التخوف نفسه أبدته جريدة (الزهرة) بتاريخ 28 سبتمبر 1937، وتمنت أن لا يكون سببا لتشدد السلطة الخناق على الشعب وتحرمه من الحريات المتبقية له. وثارت الصحافة الفرنسية ضد عمليات العنف التي استعملها الديوان السياسي، خاصة منها صحيفة

---

(1) انظر: Bourguiba, La Tunisie, app.124-125.

(2) بورقيبة، حياتي آرائي، ص 103-104. وكذلك A.O.M. Aix 26H3 op. cit

(تونس الاشتراكية) الصادرة بتاريخ 27 سبتمبر التي ترى أنه من غير المعقول، إذا ما أريد منع أحد من التكلم، أن تأتي وفود من مدن مجاورة محملة بالمسدسات والعصي والسكاكين. ولاحظت الصحيفة أن الديوان السياسي إذا لم يسرع لإعادة النظام فإن العناصر المغالية والمشاغبة سوف لا تلبث أن تتجاوزه هو أيضا، وتنظم حملات مماثلة للتي أثارت سخط البلاد كلها[1].

وغداة معركة ماطر تابع الشيخ الثعالبي جولته في مدينة فيريفيل ونظم إجتماعا خاصا داخل مزرعة أهلية. وأمام 600 شخصا فضح الشيخ الثعالبي تصرفات بورقيبة واتهمه «بخيانة القضية التونسية بتعامله مع فرنسا» وختم بالدعوة إلى التجمع حول جماعته التي «لا يهدف عملها الأساسي سوى إلى استقلال تونس ورفض جميع البرامج الأخرى التي لا تدعو إلى التحرير بصفة سريعة وفورية، وليست خالية من كل تعاون مع الحكومة[2]» هذا في الوقت الذي كان فيه رئيس الديوان السياسي، الدكتور الماطري قد أعطى توضيحا لبرنامج حزبه يوم 23 سبتمبر قائلا: إن الحزب الدستوري الجديد يتبنى سياسة المشاركة ويتبع خط التفاهم مع الحكومة التي يرى اتجاهها واجب الملاءمة. وبالنسبة إلى السيادة المشتركة فإن وجود الحماية أمر واقع، وأنه إذا كانت حكومة أخرى قد قبلت الحماية مجبرة أو عن طيبة خاطر، فإنها بدون شك قد شاركتها في سيادتها.

---

(1) الثعالبي الكلمة، ص 64-65. وكذلك A.O.M. Aix 26H3 op. cit

(2) بورقيبة، حياتي آرائي، ص 103-104. وكذلك A.O.M. Aix 26H3 op. cit

وأكـد على «أن العمل التطبيقي الحالي للحزب يرمي فقط إلى اجـتياز المـراحل الواحدة تلو الأخرى إلى أن يصل إلى التحرر والاستقلال. وهو يطالب بحق الشعب التونسي في تسيير شؤونه فـي حـدود السـيادة الـتي تحددها المعاهدات والتي انحرفت باستمرار طوال خمسين سنة من الحماية»[1].

واتهم الشيخ الثعالبي في رسالة لـه وجهها إلى أحد أصدقائه[2]، الديـوان السياسـي بتدبير قتله ووصفهم بالتآمر عليه والخيانة لـلوطن بدافـع حـب الزعامة وتلبية النزوات، فارتكب جماعته الجـرائم فـي حق الوطن. ثم حدد ظروف ظهورها فيقول: «وقد ظهـر هـؤلاء المجـرمون في الفترة التي غادرت فيها البلاد، وخانوا الشعب ولم يجمعوا حولهم إلا حثالات المجتمع والشوارع ومـع ذلـك ظـنوا أنهم يستطيعون الإنقاص والحط من هيبتي. ولكنهم خابوا وتلاشت أحلامهم، ولذلك حاولوا قتلي مرتين خلال الخريف الماضي (خريف 1937)»[3].

وتمـت القطيعـة منذئذ نهائيا بين الديوان السياسي واللجنة التـنفيذية المسـاندة للثعالبي. وانشغل الأول بالتحضير لمؤتمره الـذي سيعقد في أكتوبر 1937، بينما كان الثاني منشغلا بتطوير

---

(1) انظر: A.O.M. Aix 26H3 op. cit

(2) الظاهر أن التاريخ المشار إليه في نهاية الرسالة (4 جوان) هو تاريخ إرسالها إلى جريدة (المصري) إذ لا يمكن اعتباره تاريخ نشرها ونحن نعلم أن التقرير المؤرخ يوم 14 جوان يقول أنها وصلت أمس فقط (أي يوم 13 جوان).

(3) طالع رسالة الثعالبي إلى أحد أصدقائه في A.O.M. Aix 29 H 36, Centre de documentation Orientale, Paris, le 14 Juin 1938.

الحـــركة الإعلامية، بالإضافة إلى المنافسة بينهما. ولذلك السبب لم يكونا مستعدين لاتخاذ موقفا مشتركا لصالح الحركات العربية، وتـــنظيم حركة تونسية مضادة لبريطانيا والصهيونية أثناء ثورة فلسطين سنة 1937.

واكـــتفى الأميـــن العـــام للجـــنة التنفيذية- بإيعاز من الشيخ الثعالـــبي- بإرسال عدة احتجاجات منها واحد إلى القنصل العام الـــبريطاني فـــي تونس، نشرت نصه جريدة (الميثاق التونسي) بتاريخ 9 أكتوبر 1937 جاء فيه استنكار عمليات الاعتقال والنفي الـــتي ســـلطتها الحكومـــة الانجليزية على القادة العرب بينما لم تعـــامل الصـــهاينة بـــنفس الشدة رغم أنها أثبتت عليهم ارتكاب جـــرائم ضـــد القـــانون العـــام، واستطاعوا الإفلات من العدالة، والاستمرار في نشاطهم التخريبي.

أمـــا الديوان السياسي فلم يرسل برقية رسمية وإنما قام أحد أعضـــائه، الأســـتاذ الـــبحري قيقة، بمعالجة القضية في جريدة (العمـــل) الصـــادرة يـــوم 8 أكـــتوبر، وتساءل عن مغزى حركة بريطانيا العظمى ومعنى التغيير الجذري لموقفها[1].

واســـتمرت القطيعـــة الـــنهائية التي ظهر فيها تفوق الديوان السياســـي فـــي الـــتوغل في الأوساط الشعبية، ولعل ذلك يبرره الاتصـــال المباشر الذي يقوم به أعضاء الديوان مع الشعب بما في ذلك زعماء الطرق الدينية المعادين للاصلاح من جهة وإرادة

---

(1) انظر:

-Archives Wilaya de Constantine, (SLNA), Répercussion des Evénements de la Palestine en Tunisie, Alger, le 15 Octobre 1937.

فرنسا في الحفاظ على الحوار مع مخاطب ذي اتجاه علماني[1] من جهة أخرى.

وعقد الديوان السياسي مؤتمره من 30 أكتوبر إلى 2 نوفمبر 1937 بتونس، وصادق على مذكرة ساند فيها زعيم نجم الشمال الافريقي (مصالي الحاج)، وبرمج إضرابا عاما يوم 20 نوفمبر، ورفض الدعاية الإيطالية، وكثف من الاتصالات بباريس[2].

كما خرج المؤتمر بنتيجة ركزت على الوضع الدولي آنئذ الذي على ضوئه اعتبر الديوان السياسي مبدأ الاستقلال «وهما كبيرا»، ذلك أنه إذا كان هذا المبدأ هدفا فمن الضروري أن يكون المرء واقعيا - في نظره - وأن يختار طريق الإصلاحات التي تقود الشعب إلى التحرر من غير عذاب[3].

وبقيت اللجنة التنفيذية تسير في فلك مبدإ الاستقلال الكامل، وعدم فتح الحوار والتعاون مع السلطة، والدعوة إلى وحدة الشمال افريقية والعربية والإسلامية. وفي هذا الصدد تلقى الشيخ الثعالبي رسالة من الحاج الأمين الحسيني مفتي القدس الشريف في ديسمبر 1937 يطلبه فيها إلى لقاء في مكة المكرمة بمناسبة موسم الحج القادم.

وأرسل الثعالبي بدله المنصف المنستيري، مدير (جريدة الارادة). وكلفه بالاتصال بالشخصيات الإسلامية المجتمعين في

---

(1) انظر: EL-MECHAT, op.cit.

(2) انظر: Archives Wilaya de constantine, Département d'Alger, bureau d'informations et d'Etudes, SLNA, Cie Alger 1937-38 du 21 Sept. au 30 Novembre 1937.

(3) الذوادي، ص 141.

تـــلك المناسبة، وبالتعريف بالحالة السياسية في تونس والشمال الافريقي، وباستعمال علاقاته لصالح الدستور التونسي كما كلفه الثعالـــبي أيضا بمعالجة قضية عضوية تونس في الوحدة العربية التي كانت في إطار التكوين آنذاك في الشرق الأوسط[1].

وواصـــل كل من الديوان السياسي والحزب الدستوري نشاطه الوطـــني المستمر. وكان الثعالبي يباشر حملاته الإعلامية لنشر أفكـــاره وتبـــليغ دعوته. وتوجه في مارس 1938 إلى أهم مدن الساحل التونسي، واتصل مباشرة بالشعب، وتجمع الشعب حوله بصـــفة ملفـــتة للانتباه مما أغضب الديوان السياسي ودعا إلى تجمع كبير في تونس، وانفجرت على إثره أحداث 9 أفريل 1938 المحـــزنة[2] وتدخـــلت الحكومـــة وتخلصت من صانعي الأحداث والداعين إليها، وأعلنت الحكم الزجري.

وحـــدد الثعالـــبي كيفيـــة تعامله مع أتباعه مع الأحداث فقال: «وبالنســـبة لأصدقائي ولي أنا شخصيا فإننا نحافظ على هدوءنا أمام هذه المسرحية المحزنة، وعندما تنتهي فإن الله يقدر البقية» ورفضوا التدخل في تلك الأحداث المؤسفة، وألغوا جميع صحفهم العربية والفرنسية وأغلقوا نواديهم إلى حين تنتهي فترة الشغب السائدة حينئذ سيستأنفون عملهم بجدية وحزم[3].

---

(1) انظر:

A.O.M. Aix 29 H 35, S.E.A., Renseignements, Alger le 27 Décembre 1937.

(2) طـــالع العـــدد الخـــاص الذي خصصته لجنة مصادر التاريخ التونسي في فرنسا لأحداث أفريل 1938 المؤلمة في مجلة وثائق، عدد 9 (تونس 1988).

(3) انظر: A.O.M. Aix 29 H 36 Rapport du 14 Juin 1938.

النتيجة

يمكننا في الأخير أن نتوقف عند بعض النقاط التي طالما حجبها تاريخنا الحديث والمعاصر بتوجيه من المدرسة الاستعمارية الفرنسية من جهة، وتحت حكم نخبوي مستغرب منذ زمن بعيد من جهة أخرى.

لقد عملت فرنسا على إيجاد نخبة في تونس والمغرب الأقصى تخلفها في الحكم حين رحيلها، وتحافظ على مصالحها الثقافية والاقتصادية والسياسية. وهو الأمر الذي أدى إلى طرح التساؤلات العديدة من طرف غلاة الاستعمار الفرنسي ومنظريه خلال الخمسينات من هذا القرن، ما إذا كانت فرنسا ستفعل ذلك مع الجزائر، وهل حان الوقت للأخذ بيد النخبة المستغربة لتكون لها خير خلف لخير سلف ؟.

وكانت فرنسا قد أهملت أمر النخبة الجزائرية المستغربة، بخلاف ما فعلت مع نخبة القطرين الشقيقين، وذلك باعتبار أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا - في نظرها - بخلاف تونس والمغرب المحميتين، وقد تداركت فرنسا خطأها أثناء الثورة الجزائرية الكبرى (1954-1962)، وتوصلت إلى دس الكثير من عناصرها في الإدارة خاصة اعتمدت عليهم بعد الاستقلال. وكانوا مخلصين لها إلى حد التفتت، وذلك هو سر الصراع

المزمن الواقع بين الاتجاهين العربي - الاسلامي[1] والفرنكفوني الاوروبي[2].

وهـذه النقطة الأولى هي التي ننطلق منها في طرح السؤال حول مفهوم (الوحدة المغربية).

وقـد عرفـنا أن زعيم الديوان السياسي قد عمل جاهدا على تكـريس نظـام متوسطي اتحادي عن طريق عملية اندماج حر للبلدان الشمال افريقية الثلاث تحت رعاية فرنسا، وتكون تونس المستقلة جزءا من الامبراطورية الفرنسية القائمة على نظام اتحادي.

وعرفنا أيضا دعوة الثعالبي الوحدوية العربية الإسلامية التي بـناها عـلى ضرورة وعي الشباب المسلم برسالته الحضارية، ووجـوب استعادة إيمانه بنفسه وإعادة بناء وحدته على أسس حضـارية متيـنة قوامها الدين الإسلامي واللغة العربية والبعد الحضاري العربي الإسلامي.

وقـد شـارك النخـبويون المتغربون الجزائريون والمغاربة بورقيـبة في فكرته المتوسطية، كما شارك قادة الاتجاه العربي الإسـلامي فـي البـلدين الثعالـبي في فكرته المغربية العربية والإسلامية.

---

[1] ورث أنصـار هـذا الاتجـاه بعدهم الحضاري عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحـزب الشعب الجزائري، وقوامه الدين الإسلامي واللغة العربية ووحدة الوطن في إطار وحدتها المغربية العربية الإسلامية.

[2] ورث هـذا الاتجـاه مـبادئه عـن الاسـتعمار الفرنسي والنخبة الجزائرية بشطريها الاتحادي والوفاقي، وعن الحزب الشيوعي والحركات الهدامة الأخرى مثل البربرية وغيرها.

والســؤال المطروح هو في أي إطار نحن سائرون الآن وقد مــر على تاريخ طرح هاتين الفكرتين زمن طويل ؟. هل اعتمدنا فكــرة المتوســطية والاتحــاد الاوروبــي ؟ أم الوحدة الوطنية المغــربية العــربية الإسلامية ؟. أم أن شخصيتنا انفصمت بين اتجــاهين متضادين الأول شرقي قاده الثعالبي وابن باديس ومن لف لفهما، والثاني غربي قاده بورقيبة وفرحات عباس ومن حذا حذوهما ؟!

الوثـائـق

لا يمكـــن للـــباحث في الحقل التاريخي أن يفضل مركز وثائق عـــن غيـــره مهمـــا ضعفت منزلته بين المراكز الهامة الاخرى. والمعـــروف أن أهـــم مراكز وثائق الحركة الوطنية في المغرب العـــربي هي المراكز الفرنسية خاصة منها آكس آن بروفانس، وكي دورسي، وفانسان.

غير أن ذلك لا يمكنه أن يحط من قيمة مراكز الوثائق الأخرى التي لا تقل أهمية عن غيرها، ونذكر مثلا مركز التوثيق القومي بـــتونس ومركـــز لجنة مصادر تاريخ تونس في فرنسا، ومركز المخطوطـــات وجهـــاد الليبيين بطرابلس، ودار الوثائق الملكية بالمغـــرب، ومركز الأرشيف بالجزائر، ومراكز الأرشيف الولائية بالعاصمة الجزائر، وقسنطينة ووهران وغيرها.

وقـــد اعتمدنا هنا على بعض الوثائق اطلعنا عليها في مختلف دور الأرشيف المذكورة. وقمنا بترجمة بعضها من الفرنسية إلى العربية محاولين قدر الإمكان التزام الترجمة الحرفية مع إضافة بعـــض العبارات - عند الضرورة - بين قوسين لتوضيح المعنى المقصـــود. واعتمدنا بعض الرموز في الهوامش مثل (A.O.M.) للـــدلالة على أرشيف ما وراء البحار مثلا. ولكن القارئ الكريم يجد ذلك واضحا في قائمة المصادر والمراجع.

الوثيقة الاولى:

وزارة الحربية:

هيئة أركان الجيش

فرع الدراسات، افريقيا، المشرق، المستعمرات.

حكومة الجزائر العامة.

نشرة الاستعلامات الشهرية

باريس في 11 جوان 1934

الحركة الوطنية:

نعلم أن المنشقين عن الحزب الدستوري أسسوا مؤخرا تحت إسم «العمل التونسي» حزبا جديدا ذا طابع متطرف. وكونوا أثناء المؤتمر الذي عقدوه في قصر هلال يوم 2 مارس 1934، لجنة دخلها جميع القادة الدستوريون الأكثر نشاطا. الدكتور الماطري الحبيب بورقيبة، الطاهر صفر، محمد بورقيبة، والبحري قيقة.

ومن جهته اجتمع الحزب الدستوري التقليدي المسمى «الحزب الحر الدستوري التونسي» يوم 26 أفريل في مؤتمر عام في تونس، وجه إلى تعويض قادة «العمل التونسي» واختير السادة أحمد توفيق المدني، الشيخ الطيب رضوان، السيد محمد بن ميلاد، الهادي بن فرج، والهادي الزبيدي. وفي نهاية المؤتمر اعتمد وثيقة بين فيها أنّ الدستور لم يتخل على أي شيء من مطالبه رغم انقساماته الداخلية.

(...) كـــان على الحزب أن يحدد هدفه في السير بالبلاد نحو الاستقلال. واختتم التصريح في الأخير بتوضيح الخطوط الكبيرة للدســـتور (القـــانون الأساســـي) الذي يسمح إليه بالوصول إلى المحافظة على الشخصية الوطنية التونسية وعلى سلطة الشعب.

- بـــرلمان تونسي منتخب بالاقتراع العام مع التمتع بالسلطة التشريعية وحق المراقبة.

- حكومة مسؤولة أمام هذا البرلمان.

- فصل السلط التشريعية، والتنفيذية والقضائية.

- اســـتقلال العدالة التونسية وبسط صلاحياتها لتشمل سكان القطر التونسي.

- التعليم الإجباري لجميع السكان.

- حماية اقتصاد البلاد.

وبصـــفة عامـــة، فـــإن الدستور يدعم جميع الإصلاحات التي يمكـــنها أن تنقذ البلاد من البؤس الذي غرقت فيه، وتضمن لها مكانتها بين الأمم الحرة والمتطورة.[-]

[-] المصدر : أرشيف ما وراء البحار، آكس، صندوق (27H6).

الوثيقة الثانية:

وزارة الحربية:

هيئة أركان الجيش:

فرع الدراسات، افريقيا، المشرق، المستعمرات.

نشرة الاستعلامات الشهرية

باريس، في 11 سبتمبر 1934

تلقى كاتب الحزب الدستوري الأسبوع الماضي رسالة من الشعبة الدستورية بالقاهرة تعلمه أن الشيخ الثعالبي قد عاد بسرعة كبيرة إلى مصر إذ كان في طريقه إلى الصين، وذلك بسبب الإشاعات التي تدور حول إمكانية رجوعه إلى تونس. غير أن هذه الإشاعات لم تتأكد وأبقي على الاجراءات المتخذة ضده، واتجه إلى فلسطين وساهم في المحاضرات بين مختلف الشخصيات الإسلامية. وطلب من الشيخ الثعالبي أن يتجه إلى سويسرا، ويستقر مستقبلا في هذا البلد، أين يستطيع الاتصال بجميع الحركات الاسلامية المتمركزة في أوروبا.

المصدر: أرشيف ما وراء البحار، آكس، صندوق (27H6).

الوثيقة الثالثة:

الكتابة العامة للحكومة التونسية

المجلة الشهرية

تحليل الصحافة التونسية

جريدة النهضة في 2 ديسمبر 1934، تونس

رسالة الثعالبي:

اعتذر الثعالبي على الرد المتأخر على رسالة مراسله. وقد سافر طوال المدة الأخيرة كلها إلى فلسطين وعند رجوعه إلى مصر، كان عليه الرحيل من الاسكندرية ليستقر في القاهرة. ولما انتهى من ذلك آنئذ، فإنه يكتب إليه:

شكر الثعالبي مراسله على المعلومات القيمة التي أعطاه إياها حول أحداث تونس. هذه الأحداث تقدم طابعا مزدوجا جد محزن:

أولا الشقاق الذي وصل إلى قصوته بين «الزعماء المزعومين». وثانيا السياسة التي ظهرت على وجه الحكومة المحتلة عندما قدم لها الشعب البائس مطالبه المتواضعة والمستضعفة.

إن البلاد حزينة من أثر الألم العميق الذي سحق، منذ سنين، معنويات التونسيين، وهي ذاهبة إلى الأخطر بسبب النظام الاستبدادي الذي يضنيها. إن البلاد ذاهبة إلى خسارتها، وإن الشعب يؤمن من غير تبصر بزعماء مزعومين والذين في أغلبهم ليسوا سوى محتالين.

إن الشعب العاقل يحكم على أفعال قادته حسب نتائجها وحسب تحكمهم في تسيير الأحداث، أولئك الذين لهم نشاط منتج أكثر وهم أقدر من غيرهم على اغتنام الفرص وخلقها لصالح الأمة، هؤلاء هم أخلص من غيرهم ويستحقون كسب ثقته ويصبحوا قادة.

إن معيار النوايا، حسنة أو سيئة، لا يمكن أن يتدخل إلا عرضا. وإنها لطريقة عقيمة ومحزنة أن تختار أمة قادتها من بين مجهولين لا يمتازون بأية صفة حقيقية، إذا لم نقل ألقاب جامعية مغشوشة، وذلك لا يؤكد أبدا أن الحائزين عليها قادرون على أن يصبحوا قادة سياسيين، إذ لا بد لذلك من ميزات أخرى: وعي، إخلاص قاطع، تجربة في الشؤون العامة. وهذه الميزات لا توجد عند أغلب مدعي لقب القادة في تونس.

ولذلك يجب أن تحتار لفشلهم. إنهم لا يبحثون أصلا على خدمة قضية الامة، ولكن فقط لتنويم أعصابها والحصول على صوتها لكي يروجوا الدعاية لأنفسهم بدون مقابل إن أعداء الامة الحقيقيين هم الذين يبحثون عن الحصول على السلطة لصالحهم دون التضحية بأي شيء من أجلها من ثرواتهم وراحتهم، ودون أن يعرّضوا أنفسهم إلى تلك الضربات القوية التي لا تصيب إلا الرؤوس... وليسوا رؤوسا أبدا ولكنهم «أذناب مبتورة»... إنهم يتآكلون بينهم لكي يدخلوا في لعبة الأجانب ضد حريات وحقوق أوطانهم». وبعد أن جربناهم وتحققنا منهم، فإني لا أحمل هما من الآن للاطلاع على أي شيء يخصهم. إنهم ليسوا في نظري إلا حيوانات سامة ونجاسة أشابة.

ثـم إن الثعالبي ذكر كيف تخلى عن رحلة رائعة وجميلة إلى الصـين خلال الصيف الماضي، لكي يعود إلى تونس، ويستجيب إلى أماني بلاده. ولكنه عندما وصل إلى مصر، وهو على وشك الانطلاق، أخبرته سفارة فرنسا في القاهرة بأن الشعب التونسي، عـلى لسان ممثليه وقادته، يطلبون منه التخلي عن عودته إلى تونس لأن وجوده سيحدث خطرا. وذكرت له السفارة اسم أحمد الصافي من بين الذين يعارضون عودته. «أحمد الصافي التي أنشأته من العدم والذي علقت عليه حياتي» ورأى الثعالبي من الأحسن عدم إشـاعة هذا الاتهام العجيب أبدا، وراجع المعلومة عن طريق صديق ثقـة فـي تونـس. ورد عليه هذا الصديق ذاكرا لـه أسماء سبعة أشـخاص مـن بيـن العشرة الذين تصافوا لمنع عودته. ومنذئذ لم يكاتبه هذا الصديق، الذي يكون، من دون شك قد شله الحياء.

غير أن هذا السكون لم يخف الحقيقة. واستطاع الثعالبي فعلا أن يقرأ في جريدة (الجهاد)، رسالة من تونس سردت عليه بأن السـيد أحمـد الصـافي، في خطابه الذي ألقاه بحضور أعضاء اللجنتين المديرتين للدستور القديم والجديد، صرح أنه لم ينصح أبـدا الحكومـة بمهاجمة حرية الزعماء الحاليين لتونس، ولكنه نـبهها فقـط لبعض الزعماء الآخرين المقيمين في الشرق. ولا يمكن أن يتعلق الأمر سوى بالثعالبي. وإذا كان هذا قد قيل فعلا، فهل الشعب التونسي على علم بذلك ؟. وهو يصدق صاحبه.

لابـد مـن عرض هاتين المسألتين على الرأي التونسي بكل الوسائل، إما شفويا أو عن طريق الصحافة العربية أو الفرنسية. الثعالـبي يريد أن يعرف رأي الشعب الذي اختاره بحرية كقائد،

بعدما جربه، وبعدما كافح الثعالبي ليخدم قضيته، بالقلم، والفكر، وثـروته طيـلة أكـثر من سبع وثلاثين سنة، أثبت خلالها عن إخلاصـه غيـر المحدود بحيث ذهب إلى حد أدى به إلى مفارقة زوجه وأبنائه.

« وأضـاف الثعالبي، إن الأمة التونسية مدانة لي أنا فقط، في اليقظة السياسية التي أوجدتها في البلاد هذه اليقظة التي أحدثتها بالتضـحية، وتحملت النفي والسجن. ولو لم أقدم حياتي كضحية كبرى للأمة التونسية، لكانت بلادنا تسير اليوم بخطى كبيرة نحو الاندماج الكلي على يد المنتصرين، ونكون قد اندمجنا في الصف الفرنسـي مـبعدين عن العروبة والإسلام، بعدما حضرت الحياة السياسـية الطريق لهذا الاحتمال وتترك البلاد تعاني من التسلط والتفقير والجهل».

« وليس بيني وبين الحكومة المغتصبة سبب آخر للنزاع غير هـذه السياسة، وإن رغبتي هي التضحية بحياتي في الدفاع عن حقوق التونسيين. وإني أستطيع أن أعتذر إذا قدر التونسيون أن الكفـاح الـذي أخوضه من أجلهم مشؤوم، فإن تغيير الموقف لا يكلفـني سـوى كـلمة واحدة: « سألتزم الصمت». ولهذا يكون عذري إذا فشلت في جهودي لأرضي أبناء بلدي وضميري، أنني لا أريد أن أتخلى عن إرضاء عائلتي وأبنائي ».

وفي الأخير يستغرب الثعالبي بمرارة أن لا يشاهد ولا تونسيا واحدا ذكر اسمه (الثعالبي) من بين أولئك المنفيين الذين طالبوا بعودتهم. وإذن يكونوا قد نسوه تماما بينما يتحدث عنه في العالم

أجمع وخاصة في فرنسا... وإن كان يذكر فيها كشخص خطير؟. ولكن (خطير) على من؟...

«إنـــي أنتظر جوابكم بدون تأخير كبير لأنكم آخر من أتراسل معه من التونسيين».

الإمضاء

عبد العزيز الثعالبي

مصدر : أرشيف ما وراء البحار، آكس، صندوق (26H1).

الوثيقة الرابعة:

الاقامة العامة للجمهورية الفرنسية في تونس

تحليل الصحافة التونسية، أكتوبر 1936

نشاط الحزب الحر الدستوري التونسي (الدستور القديم)

في حين يظهر أن قادة الدستور الجديد، خلال جولاتهم واجتماعاتهم الدعائية، قد تبنوا سياسة تعاون فرنسية تونسية وبرنامج مطالب معتدلا نسبيا، فإن قادة الدستور القديم، عكس ذلك تماما، يتقدمون على أنهم الأنصار المصممون على سياسة تؤدي قدما إلى استقلال البلاد الكامل.

هكذا جاء في المنشور الذي أفرط في توزيعه داخل الوسط الشعبي، والذي وقف فيه الأمين العام للدستور القديم، السيد صالح فرحات، بوضوح ضد جميع أنظمة التعاون، وانتقد إجراءات المقيم العام الحرة التي تواطأ فيها مع حكومة الجبهة الشعبية التي قال: « تبحث قبل كل شيء على المحافظة على مصالح فرنسا، حسب خصوصيات السياسة الاستعمارية للحكومات السابقة».

ونظم الحزب الدستوري القديم خلال نصف الشهر الحالي اجتماعات في ماطر بتاريخ 3 أكتوبر، وفي فيريفيل يوم 9 أكتوبر.

المصدر : أرشيف ما وراء البحار، آكس صندوق (26H3).

الوثيقة الخامسة:
قنصلية فرنسا العامة في فلسطين والضفة الغربية
مديرية الشؤون السياسية والتجارية
بلاد الشرق رقم 8/83/ل

القدس، في 2 جوان 1937

السيد دومال
قنصل فرنسا العام في القدس
إلى سعادة السيد وزير الخارجية
بباريس

مرور الثعالبي إلى القدس.

الـزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي وصل حالا إلى القدس قادمـا من مصر بعد أن قضى أربعة أشهر في الهند، ونزل في مقر إقامة عرفات بيطار، وكان في استقباله مجموعة من أعيان البـلد عـلى رأسـهم المفـتي (الحاج الأمين الحسيني)، وصياد طبطـبائي، وأحمـد حلمي باشا. وأقام المفتي وليمة فطور على شـرفه. وأقيمـت ولائم فطور أخرى على شرفه أيضا من طرف الحـاج موسى عرفه، عضو اللجنة الوطنية للقدس، وعبد الرحمان علني، والحاج خالد هدمي، دعيت إليها شخصيات كثيرة من المدينة.

وسيقضي الثعالبي أسبوعا في القدس، ثم سيعود إلى القاهرة لتنظيم بعض شؤونه الخاصة ومن هناك إلى تونس.

الامضاء دومال.

المصدر: أرشيف ما وراء البحار، آكس، صندوق (29H26).

الوثيقة السادسة:

الاقامة العامة للجمهورية الفرنسية:

في تونس

تحليل الصحافة التونسية

من 1 إلى 15 سبتمبر 1937

أولا: تحليل الحالة:

أ – الحالة السياسية.

النشاط الوطني:

انشقاق في صفوف الحركة الوطنية التونسية

بمبادرة من الشيخ الثعالبي وتحت رئاسته، تأسست لجنة[1] بتاريخ 3 أوت الفارط بتونس، من أجل دراسة كيفية الوحدة بين كتلتي الدستور: الحزب الحر الدستوري التونسي (المعروف بالدستور الجديد)، والحزب الحر الدستور التونسي (المعروف بالدستور القديم)[2]، وقد تعرضت هذه اللجنة، خلال هذين الأسبوعين إلى هزيمة نكراء ومثيرة.

وفعلا، فإن اقتراح الشيخ الثعالبي الذي يسانده الدستور القديم والذي يرمي إلى تأسيس لجنة عليا متساوية الأعضاء من بين

---

(1) اللجنة العليا للبحوث والدراسات السياسية.

(2) إذا اعتمدنا على برامج الحزبين فإن الخلاف بينها يبقى بارزا، وعليه فإنهما لا يكونان كتلتين للحزب الحر الدستوري التونسي، بل إن أصحاب الديوان السياسي وضعوا برنامجا خاصا لحزبهم الذي اعتبروه امتدادا للحزب المذكور حتى تبقى صلتهم بالشعب الدستورية وثيقة، وقد انتهجوا معها سياسة مغايرة تماما لما كانت عليه مع لجنة الحزب الدستوري التنفيذية.

المجلسين السياسيين للحزبين. (وقد احتفظ الشيخ برئاستها). وأن تخطى هذه اللجنة بالمراقبة المالية والتسيير السياسي، وتتكون من الحزبين اللذين سيشتركان في ذلك مستقبلا. وقد رفض هذا الاقتراح بشدة من طرف الدستور الجديد الذي يطالب، حسب رغبة أمينه العام، السيد الحبيب بورقيبة، باجتماع مؤتمر وطني، تكون مهمته تعيين - حسب الاستفتاء العام - أعضاء هذه «اللجنة العليا».

وهذا الإجراء الذي طالب به الزعيم الحبيب بورقيبة لجمع مؤتمر لا يمكن أن يكون خاليا من الجدال، فهو يؤدي إلى ضمان النجاح الكامل «للدستور الجديد» الذي يملك الأغلبية الساحقة من المناضلين الدستوريين.

وبوجود هذا الاحتمال، فإن «الدستوريين القدامى» تجمعوا حول الشيخ الثعالبي، رفيق كفاحهم القديم، وحملوه على تجاوز اقتراح الزعيم بورقيبة والسعي مباشرة بمرافقتهم في الجولات الإعلامية لصالح وحدة الحزبين الدستوريين.

وقد تأجج لهيب الخصومة الخفية التي كانت تفرق إلى ذلك الحين الحزبين الدستوريين. وتحولت إلىصراع سلطوي ونفوذي، وهي جميعها لها نقاط مشابهة لمزاحمات «الصف» التي يتوفر عليها الشمال الافريقي منذ قرون والأمثلة على ذلك لا تحصى ولا تعد[1]. وبادرت الصحافة الدستورية التي نشرت

---

[1] اعتبر الفرنسيون الأنظمة في الشمال الافريقي مجرد صراع عصبي بين القبائل، وأن أهلها لا يمكنهم حكم أنفسهم بأنفسهم ولذلك استوجب وجود الرومان والفرنسيين للأخذ بيدهم وتأهيلهم للحكم. أما العرب المسلمون فهم في نظرهم مجرد قبائل لا يحكمها نظام. وطبعا هذه نظرية استعمارية لا يصدقها منطق التاريخ.

عدة مقاطع (مقالات صغيرة) نصحت فيها باتباع «الإجراء العادل» لا «الملتبس المبهم» (الداعي) لمؤتمر استثنائي. وانصبت برقيات شعب الدستور الجديد من جميع الجهات على الثعالبي تطالب باستفتاء شعبي.

الجولة الإعلامية للشيخ الثعالبي في (رأس بونة)

باشر الشيخ الثعالبي إذن جولته الإعلاميّة الأولى يوم 27 أوت في منطقة رأس بونة أين توجد بعض الشعب الدستورية القديمة (الدستور القديم). وكان مرفوقا بعدد كبير من أعضاء لجنة الدستور القديم من بينهم السيد صالح فرحات.

وقد زار الوفد على التوالي منزل بوزلفة، وبني خلاد، وقربة، ومنزل تميم وقليبية.

وكان الشيخ الثعالبي هدفا لاستقبالات حارة في كل مكان. وحقيقة شارك في هذه الجولة قادة ومناضلو الحزبين.

تصريح الشيخ الثعالبي إلى الصحافة

وقد فرض هذا النجاح الأول على الشيخ الثعالبي أن يعطي ضربة، يتمنّاها القاضية، إلى قادة الدستور الجديد وخاصة إلى الزعيم الحبيب بورقيبة.

ونشرت الصحافة العربية بتاريخ 4 سبتمبر تصريحا للثعالبي، ثار فيه الشيخ ضد الانتقادات المغرضة لبعض الصحف التي تتزايد في التنبؤات المتشائمة حول تقارب الحزبين الدستوريين، وحكمت على أحدهما (يفهم أن المقصود هو الحزب القديم) برأي مسبق صريح وبدون سبب.

وطلب من الصحافة العربية أن تمتنع عن معالجة هذه المسألة، «ما دام لم يتخذ فيها رأي حاسم وبقراره النهائي وليس بالنداء»، وأضاف أن نشر بيانه النهائي سيسمح للشعب أن يحكم على بعض الحقائق التي يجهلها إلى حد الآن[1] «وإني أضع ـ وضح الشيخ ـ على عاتق الجرائد التي تفتح أعمدتها إلى الدعاية المشؤومة للصيادين في الماء العكر، مسؤولية فشل متوقع».

رد فعل الدستور الجديد

وتصدى الديوان السياسي للدستور الجديد لهذه الغاية التهديدية، ونشر في الصحافة العربية، بتاريخ 5 سبتمبر الجاري، بلاغا صرح فيه برفضه مشاطرة رأي الشيخ الثعالبي الخاص بالإجراء المتبع لبناء وحدة الحزبين وعبر عن حيرته أن يرى الشيخ «يفرض على الناس أن ينتظروا تقديم حكمه الفاصل».

ونفى الديوان السياسي على الشيخ حق رفع نفسه إلى حكم أعلى، واعتبره تجاوز حدود دوره كموفق (دور توفيقي).

---

[1] أعتقد أن الشيخ الثعالبي كان يقصد كتابه (الكلمة الحاسمة) الذي نشرته مطبعة الإرادة سنة 1937، ومنع من التداول وأحرق الديوان السياسي مخزن المطبعة، وقام الاستاذ حسن أحمد جغام مشكورا بتقديم هذا الكتاب (نسخة استلمها من الشيخ المنصف المنستيري رحمه الله). ونشره سنة 1989، إحقاقا للحق وإحياء للتاريخ والتراث التونسي العربي الإسلامي العتيد.

إيضاح الشيخ الثعالبي

أجاب الشيخ الثعالبي في اليوم نفسه (5 سبتمبر) على الدستور الجديد عن طريق الصحافة، وأعلن أنه لم يعمل أبدا على توحيد الحزبين. «إنه لسوء نية من طرف زارعي الشقاق والنزاع»، وأضاف الشيخ «إن ندائي في الحقيقة لا يهدف سوى لإيجاد تفاهم وسط لكي نكون ترابطا بين الحزبين ووضع حد لسوء التفاهم، تاركين لكل منهما حريته في العمل» ولكنه يتهم بوضوح الديوان السياسي للدستور الجديد الذي حافظ، بتصرفه، على استمرار النزاع والبحث عن تأجيج الانفعالات.

جولة الشيخ الثعالبي الإعلامية في الساحل

تقوى الشيخ الثعالبي بتشجيعات وضمانات رواد الدستور القديم، وقرر مباشرة جولة إعلامية يوم 4 سبتمبر الجاري، في منطقة الساحل، عازما بكل ثبات على جمع الصف في نظره، وعددا كافيا من الأصوات لكي يتغلب على معارضة الديوان السياسي للدستور الجديد، غير أن الحبيب بورقيبة سبقه وأقام ضده حملة اغتياب وقدح عنيفة في أهم مراكز الساحل، وكان يوسف الرويسي، رئيس شعبة دقاش (توزر)، في القلعة الكبرى، أين كان يرافق الزعيم بورقيبة، قد صرح أثناء الاجتماع الذي عقد في هذا المركز في 3 سبتمبر بأن الشيخ الثعالبي ما هو إلا خائن وجاسوس لحساب الإقامة العامة.

ونظـم أنصـار بورقيـبة في الحال حملة نشيطة ضد الشيخ الثعالبي الذي كانت له الفرصة في سوسة نفسها، لتقدير ضخامة حملة المعارضة، ومعاينة الشعبية الكبيرة لخصمه السياسي.

وإثـر وصوله إلى سوسة، استقبل الشيخ من طرف جمهور معـاد لـه. وكان عليه مغادرة هذه المدينة بسرعة والتوجه إلى مسـاكن أين نظم أنصار الدستور القديم اجتماعا في نفس اليوم (4 سبتمبر) مساء.

وألـقى الشـيخ الثعالـبي خطابا طالب فيه بالوحدة «من أجل تحقيق استقلال تونس»، غير أن الخطيب تعرض لعدة انقطاعات. وكان الحاضرون في أغلبهم من أنصار الدستور الجديد، يعبرون عن شعورهم المعادي بالنداءات «يحيا بورقيبة».

وعـند رجوعه إلى سوسة لم يستطع الشيخ الثعالبي النزول مـن سـيارته. لقد سخر منه، وكان عليه الهروب تحت حماية أصدقائه، إلى مسكن يملكه أحد أنصار «الدستور القديم». وأثناء وجـبة العشـاء، كان المتظاهرون يرمون المنزل بالحجارة، وكانت الأصوات العالية تلفظ عبارة « الثعالبي الخائن » و « يحيا بورقيبة ».

وفـي 5 سـبتمبر، توجه الشيخ، محاطا دائما بقادة الدستور القديـم، إلى زمالـة السواسـي، (المراقبة المدنية لسوسة) أين ترأس اجتماعا ضم 2000 شخص. وجرت إشتباكات بدون نتيجة خطيـرة بيـن أنصـار الشيخ وأعدائه. وكتبت الشرطة محاضر للمـنظمين لمخالفتهم لقرار الإقامة الذي يمنع الاجتماعات السياسية العمومية. ورجع الشيخ الثعالبي في ذلك اليوم إلى تونس.

جولة الزعيم الحبيب بورقيبة الإعلامية

لـــم تعق جولة الثعالبي الاعلامية الفاشلة في الساحل، نشاط الـــزعيم الحبيب بورقيبة الذي واصل جولاته في منطقة الساحل في المراقبة المدنية للقيروان وخاصة في إقليم قبيلة جلاص.

واســـتأنف الكـــاتب العـــام للدستور الجديد، مرفوقا برؤساء اتحاديـــات الشعب الأكثر شهرة، حملته الاغتيابية التشهيرية ضد الشـــيخ الثعالـــبي، وســـجل عددا معتبرا من المنخرطين الجدد. وجمعـــت الاشتراكات أثناء هذه الجولات الإعلامية، وسلمت إلى صندوق الحزب، وهي من أثمن الإعانات.

اجتماعات دستورية

وقـــد حث النزاع الذي فرق بين الشيخ الثعالبي والزعيم بورقيبة، أثناء هذين الأسبوعين، علىعقد اجتماعات عديدة خاصة في مقرات شعب الدستور الجديد في عدة مدن وأمكنة من المملكة.

وكـــانت بعـــض الاجـــتماعات العمومية القليلة، غير المأذونة موضوع محاضر مصالح الشرطة.

الحملة الإعلامية الإسلاميّة والوحدة العربية «الشباب»

تـــم الإعـــلان عن عدة اجتماعات عمومية أدبية، وقع تنظيمها خلال هذين الأسبوعين، من طرف جمعيات مختلفة «للشباب »، في كثير

من المدن والأمكنة داخل المملكة. ويجب الإشارة إلى أن الخطباء والمحاضرين قد امتنعوا عن أي تلميح سياسي.

المصدر : أرشيف ما وراء البحار، آكس، صندوق (26H3).

الوثيقة السابعة:

الاقامة العامة للجمهورية الفرنسية في تونس

تحليل الصحافة التونسية

من 15 إلى 30 سبتمبر 1937

الحالة السياسية:

أولا: النشاط الوطني

أ- نزاع الثعالبي – بورقيبة:

إن صراع السلطة والنفوذ الذي يفرق، حاليا، فريقي الدستور ويروض المنافسة السياسية بين الزعيمين الحبيب بورقيبة والشيخ الثعالبي، قد اتخذ خلال هذين الأسبوعين، طابع حدة ذا خطورة خاصة.

وبدعاية لا تعرف الملل داخل الشعب (جمع شعبة) الداخلية، وبحملة صحفية تشنها صحف الحزب والتي شاركت فيها على الخصوص اليوميتان العربيتان «الزهرة» و«النهضة»، سبق الزعيم الحبيب بورقيبة في كل مكان اجتماعات الدستور القديم، وتوصل إلى أن يرفع ويكون كتلة معارضة ضد الشيخ الثعالبي، هذه الكتلة التي على منافسها (الشيخ الثعالبي)، من أجل سلامته وسلامة أنصاره، التخلي في آخر المطاف عن مواصلة حملته الاعلامية.

ونستطيع أن نعتبر، من الآن، محاولة الشيخ الثعالبي في السيطرة على السلطة العليا للحركة الدستورية، وهو الاحتمال الذي باستطاعته تغيير مصير الحزب الوطني التونسي، محاولة معرضة إلى الخطر بصفة جادة.

غير أن الشيخ الثعالبي، الذي يسانده ويقويه «الدستور القديم»، يظهر عازما بصلابة على عدم التخلي عن المعركة. هذه المعركة التي تأكد من يوم لآخر عدم تكافئها، بسبب الشعبية الكبيرة التي يتمتع بها الزعيم الحبيب بورقيبة، والطاعة الكاملة التي يشهد له بها رؤساء الفروع في الداخل[1]، وكلهم جاهزون لدفع أعضاء شعبهم إلى العمل وتحطيم المعارضة بجميع الوسائل، حتى أعنفها إذا اقتضى الأمر ذلك.

إن الأحداث المأساوية المباغتة التي حدثت حوالي نهاية هذا الشهر في ماطر (المراقبة المدنية لبنزرت) بين أنصار وخصوم الشيخ الثعالبي، تؤكد تماما عزم الدستوريين الجدد على الإطاحة بأنصار الدستور القديم من الحلبة السياسية، وتؤدي بزعيمهم إلى التخلي عن المعركة[2].

ويقود الشيخ الثعالبي من جهته حملته قاطعا على نفسه، أثناء الاجتماعات القليلة، بأنه يستطيع الصمود في وطنية لا تقهر، محسسا بغايات الاستقلال التي يتطلع إليها الدستور القديم، ونذر

---

[1] لا يمكن أن تتساوى الشعب التي أسسها بورقيبة مع شعب الحزب الدستوري في عدد أعضائها المنخرطين. وقد أكثر بورقيبة من تأسيس الشعب بعدد قليل من المنخرطين واعتمد خاصة على الذين لا يؤمنون بمبادئ الحزب الدستوري ومنهم الطرقيون، وذلك ليكون عدد أنصاره متفوقا في حالة انعقاد مؤتمر عام. وهذا هو السبب الذي جعل بورقيبة، كلما طرحت مسألة الخلاف بينه وبين الدستوريين يحتكم إلى المؤتمر العام لأن رؤساء الشعب هم أعضاء المؤتمر.

[2] لم يكن الشيخ الثعالبي يدعو إلى وحدة الحزب باسم اللجنة التنفيذية كما كان يزعم قادة الديوان السياسي، وإنما كان يعمل من أجل الوفاق بين الطرفين وتأسيس لجنة عليا يكون أعضاؤها الثمانية منتخبين بالتساوي بين الفريقين ويكون هو رئيسها كمحايد خدمة للوطن والهدف في اتجاه وحدوي عربي إسلامي.

بفضائح الحزب الخصم ورئيسه، واتهمهم بالتواطئ مع الحكومة الفرنسية وخيانة القضية.

ب – الجولات الإعلامية للزعيم الحبيب بورقيبة:

تكملة إلى الجولة الجديدة في الساحل والجلاص، وبتشجيع من أثر نجاح حملته المعارضة ضد الثعالبي، واصل الزعيم الحبيب بورقيبة حملته في مناطق وادي جربة، ومناطق الشمال، والشمال الغربي التونسي، التي جالها بدون تمهل.

وقد استقبل الكاتب العام للدستور الجديد، الذي سبقه فرع من الكشافة، من طرف جمهور من أنصاره وأعضاء الشعبة المحلية، و«الشبيبة الدستورية» يغنون الأناشيد الوطنية.

وبما أن الاجتماعات السياسية والمواكب العمومية كانت ممنوعة، فإن السلطات قامت بكتابة محضر إلى الزعيم ولمنظمي الاجتماع.

وعندما ضاق محل المقر، فإن الاجتماع الذي «اعتبر خاصا» صار بهذه الصفة غير ممنوع، ويعقد في فندق (يتسع إلى آلاف كثيرة من الأشخاص)، أو في مساكن كبيرة تكترى أو تستلف للمناسبة[1].

وفي هذه الظروف قام السيد بورقيبة ومن اتبعه مرفوقا بمبعوثين للصحيفتين العربيتين «الزهرة» و«النهضة»، بحملاتهم الإعلامية المتتالية في كل من تستور يوم 17 سبتمبر، ومجاز

---

[1] كانت السلطات الاستعمارية تمنع الاجتماعات العمومية على التونسيين وتمنح رخصا للاجتماعات الخاصة.

الـبـاب يـوم 18 سبتمبر، وبوعرادة يوم 19، والعروسة يوم 20 سبتمبر. وخلال هذه الجولة الأخيرة، أذن للسيد ماري (MARY)، رئيـس جمعيـة المعمرين في المركز (العروسة) بالحضور بناء على طلبه. واغتنم الحبيب بورقيبة هذه الفرصة، ولم يقصر في ابـداء المغـالاة والتضـخيم -جـاء في محله - حول موضوع التعاون الفرنسي التونسي «الصريح والعادل، والكامل». [1]

وفي 21 سبتمبر، توجه بورقيبة إلى باجة، وفي 22 إلى سوق الاربعـاء، المركـز الكـبير للاستعمار الرأسمالي، أين استقبلته مواكـب مهمـة وأرادت مرافقته في اجتياز المدينة. وقد أخذت السـلطات المحـلية جميـع الإجراءات واحتياطاتها الضرورية. وكتـبت محضـر إلى المنظمين. وفرق بورقيبة المواكب. وكان مرخصـا لـه بعقـد إجتماع «غير عمومي» وكان الزعيم، في خطابـه الـذي ألقاه في سوق الإربعاء، بحضور 2000 شخص، حسس بتفوق الإيمان على القوة المادية.

وفـي 23 توجـه إلى سـوق الخميس، وكان خطابه في هذا المركـز لطيفـا جدا[2]. وفي 24 (سبتمبر)، في طبرقة، ونفزة، وبـبوش، وعيـن دراهـم، تفاخـر بفضائل مقاتلي قبائل الخمير وبسـالتهم واتهـم إدارة الغابات، وشدة وتصلب رجالها نحو شعب مشغب.

---

[1] أية عدالة يقصد بورقيبة وقد أشرك بمبادئه هذه الفرنسيين في سلطة التونسيين على بلادهم ؟!

[2] لعل صفة اللطف هنا هي الموالاة لفرنسا ومحاولة تبرير قبول تعاون بين الفرنسيين والتونسيين. وهذا هو هضم الحق بعينه إذ كيف يصبح صاحب الأرض والحق يطالب من مغتصبي أرضه أن يسمحوا له بمشاركتهم فيها.

في 25 سبتمبر، في الكاف، قدم بورقيبة تبريرا للدستور الجديد لحضور ضعيف.

ج- اجتماعات الدستوريين الجدد:

أثبت الحزب الحر الدستوري التونسي نشاطا مكثّفا. وقد نظمت عدة اجتماعات في شعب الحزب الدستوري الجديد في الداخل.

وفي سوسة، يوم 16 سبتمبر، وقع اجتماعان كل على حدة برئاسة الدكتور الماطري والزعيم بورقيبة.

ولكي يقطع دابر الإشاعات المنتشرة والتي تنتقد تصرف بورقيبة نحو الشيخ الثعالبي، أكد الدكتور الماطري ارتباطه بقضية الدستور الجديد وبشخص كاتب الحزب العام، السيد بورقيبة.

وهذا التصريح للدكتور الماطري، الذي يعتبر كقائد أكثر اتزانا[1] وأكثرهم ترفعا عن الحركة الدستورية، توسّع انتشاره عن طريق الصحف العربية.

وفي نفس اليوم، ترأس الكاتب العام للحزب بالنيابة، في المرابط سيدي قاسم (المهدية) اجتماعا ضم 600 شخصا.

ومن جهته، ترأس أمين مال الحزب السيد صالح بن يوسف، اجتماعين نظما من أجله يوم 22 سبتمبر في ربعة وسليانة (المراقبة المدنية لمكثر).

---

[1] لعل المقصود هو أن الماطري لم يكن يطمح حتى إلى سياسة التعاون بين التونسيين والفرنسيين، ولكنه انجز فقط وراء حماس بورقيبة للديوان السياسي.

كـــانت الاجتماعات كلها إعلامية، أبرز فيها الخطباء استحقاق الدســـتور الجديـــد، ونـــددوا «بخيانـــة» الشيخ الثعالبي وجمعوا التبرعات.

د ـ جولات الشيخ الثعالبي الإعلامية في ماطر:

رغـــم فشـــله في الساحل، قرر الشيخ الثعالبي استئناف جولاته الإعلاميـــة، (مشيرا إلى) التهديدات شبه المموّهة للجرائد المتشيعة للدستور الجديد.

وتوجـــه الشـــيخ الثعالبي يوم 25 سبتمبر، مرفوقا بكثير من أعضـــاء لجـــنة الدستور القديم إلى ماطر التي وصلها في آخر الـــنهار وإثـــر دخـــول الشيخ بقليل إلى محل شعبة الدستور القديم، تظاهـــرت مئات كثيرة من الأفراد بشدة وحاولت معارضة الاجتماع. وانفجـــرت المعركة وأطلقت طلقات رصاص. ووصلت السلطة على الفور إلى الأماكن وأفرغت حاشية مقر الاجتماع ، واندفعت في متابعة المتظاهرين وقامت بعدة اعتقالات. وأطلقت طلقات رصاص، سرعان مـــا توقفـــت، على المراقب المدني، والخليفة ومحافظ الشرطة، من طرف مجموعة أفراد. ولحسن الحظ لم يصب أي شخص.

ومـــن بين الأفراد المعتقلين، يوجد كثير من مناضلي الدستور الجديـــد، أتوا من بنزرت، وفيريفيل، وباجة. وكان أغلبهم يحمل أسلحة من جميع الأنواع (مسدسات، سكاكين، موس، عصي...).

نتائج المعركة: قتيل واحد، و14 جريحا، و60 معتقلا من بينهم 19 حوفظ عليهم.

وعاد النظام إلى نصابه بسرعة، والفضل يعود إلى الاجراءات النشيطة التي اتخذتها السلطات المحلية.

وقد أحدثت أحداث ماطر تأثيرا عميقا في جميع أرجاء المملكة وخاصة وسط الشعب التونسي، الذي يتابع باهتمام حملة الدستور الجديد ضد «الخائن» الثعالبي ويتخوف الآن من رد فعل الحكومة المحتمل مع وجود الفوضى التي أحدثها هذا النزاع.

«وكتبت «الزهرة» بتاريخ 28 سبتمبر معبرة عن أمانيها في أن هذه المعركة لا تكون سببا لتشدد السلطة ضد الشعب التونسي لتضيق عليه الخناق وتحرمه من الحريات المتبقية له».

وفي المقابل، فإن العنف الصادر عن الدستوريين الجدد قد أثار سخط جميع الصحافة الفرنسية. منها صحيفة «تونس الاشتراكية» الصادرة في 27 سبتمبر خاصة، التي ترى أنه غير مقبول إذا ما أريد منع أحد من التكلم، أن نأتي من مدن مجاورة محملين بمسدسات، وعصي، وسكاكين. وأضافت الجريدة أنه إذا كان قادة الدستور الجديد لم يسارعوا لإعادة النظام إلى أصله، فإن العناصر المغالية والمشاغبة سوف لن تتأخر في أن تتجاوزهم هم أيضا، وهذه العناصر المغالية ستنظم عن قريب حملات مماثلة للتي أثارت سخط البلاد كلها».

و- جولة الشيخ الثعالبي في فيريفيل:

وغداة معركة ماطر، تابع الشيخ الثعالبي جولته، وتوجه إلى فيريفيل، أين نظم الدستور القديم اجتماعا خاصا جدا، داخل مزرعة أهلية.

وأثـــناء هذا الاجتماع الذي حضره 600 شخصا (فضح) الشيخ الثعالـــبي تصرفات بورقيبة واتهمه «بخيانة القضية التونسية من جـــراء تعامله مع فرنسا». ووضح الشيخ، أنه لا يمكن ان نحب فرنسا وتونس في نفس الوقت إذا كنا تونسيين.

وخـــتم بـــالدعوة إلى وحدة الجميع حول فرقته التي لا يهدف عملها السياسي سوى إلى إستقلال تونس ورفض جميع البرامج الأخرى التي لا تدعو إلى التحرر بصفة سريعة وفورية، وليست خالية من كل تعاون مع الحكومة.

هـ ـ جهر الدستور الجديد بالاتجاه السياسي :

فـــي صـــالح العنف الجدلي الصحفي والمجادلة المندفعة التي تفـــرقهم، لم يجتهد قادة الفرقتين في إخفاء أفكارهم وتغطيتها ، وخانوا بذلك أسرار طموحاتهم وعمقها بمقاطعتهم لنظام الحماية.

وللإجابـــة على اتهامات الدستور القديم الذي يتهمه باختراق (الجوهـــر) والجهـــر بالاتجاه السياسي للحركة الدستورية وقبول تصورات السيادة المشتركة للحقوق المكتسبة ودوام الروابط مع فرنســـا، نشر الدكتور الماطري، رئيس الحزب الحر الدستوري التونســـي (الدستور الجديد) في الصحافة العربية يوم 23 سبتمبر إيضاحا – اقتراحا – هذا نصّ ترجمته:

« رد الدكـــتور الماطـــري بأن قادة «الإرادة» (جريدة الدستور القديـــم) الذين انضووا تحت سياسة المشاركة، ومن بينهم واحد

حضـــر في لجنة الإصلاحات[1]، وأن الدستور الجديد يقف مدافعا لتبـــنيه سياســـة المشـــاركة. وأنه لم يتعاون أصلا مع الحكومة الحالية، ولكنه يتبع خط التفاهم مع الحكومة التي يرى، تجاهها، واجـــب الملاءمـــة (معهـــا) بخـــلاف ما كان يفعله تحت النظام البيروتوني الجائر. وبالنسبة إلى السيادة المشتركة، قال الدكتور الماطـــري بأن وجود الحماية (أمر واقع) وأنه إذا كانت حكومة أخـــرى قبلتها (الحماية) مجبرة أو عن طيبة خاطر، فإنها بدون شك شاركتها في سيادتها، ولكن هذا لا يثبت أصلا بأن الدستور الجديد يقبل بأن سيادة أخرى تشارك في السيادة التونسية».

«إن العمـــل التطـــبيقي الحالي للدستور الجديد يرمي فقط إلى اجـــتياز المراحل الواحدة تلوى الأخرى إلى أن يصل إلى التحرير والاستقلال. وهو يطالب إلى الشعب التونسي حق تسيير شؤونه فـــي حـــدود الســـيادة الـــتي تحددها المعاهدات، والتي انحرفت باستمرار طوال خمسين سنة من الحماية».

---

[1] انظر عنها كتاب الثعالبي (الكلمة الحاسمة) – دار المعارف – سوسة تونس 1989
المصدر : أرشيف ما وراء البحار، أكس، صندوق (26H3)

الوثيقة الثامنة سـري

س – و – ا.

رقم : 2744 / ك

الجزائر، في 27 ديسمبر 1937

معلومات

المصدر: جيد جدا

المشـــــرق

مبعوث الشيخ الثعالبي إلى الحج بمكة المكرمة.

تلقى الشيخ الثعالبي مؤخرا رسالة من مفتي القدس الحاج الأمين الحسيني يصرح فيها بأنه سيكون سعيدا إذا ما استطاع ملاقاة مراسله في موسم الحج المقبل بمكة المكرمة.

وطلب الشيخ الثعالبي من رجل ثقته السيد منصف المنستيري مدير جريدة «الإرادة»، لسان الدستور القديم، بأن يعوضه في التوجه إلى الحجاز.

وكلف السيد المنستيري بالاتصال بالشخصيات الإسلامية الذين سيكونون مجتمعين عن قريب في مكة، ويعلمهم بالحالة السياسية في تونس وفي الشمال الافريقي، وأن يستغل علاقاته لصالح الدستور القديم.

وسيعالج معهم أيضا قضية عضوية تونس في الوحدة العربية التي هي في إطار التكوين حاليا في الشرق الاوسط

استلمت يوم 1938/1/18

ختم الحاكم العام في الجزائر بتاريخ 10 جانفي 1938

المصدر : أرشيف ما وراء البحار، آكس صندوق (29H35)

الوثيقة التاسعة:

مركز التوثيق الشرقي
4 شارع ليل – باريس

14 جوان 1938

رقم: 4

الشيخ الثعالبي يعرض الحالة في تونس
ويعطي توضيحات حول المحاولة التي كان عرضة لها.

بناء على خبر ورد إلى مصر صادر عن بعض الصحافة التونسية، كاد الزعيم التونسي المعروف الشيخ الثعالبي أن يقتل أثناء إحدى المظاهرات.

والحال تلك، وصلت رسالة ببريد أمس من الشيخ الثعالبي نفسه بعثها إلى أحد أصدقائه في مصر. وتعطي تفاصيلا حول المحاولة التي كان الشيخ عرضة لها، قام بها بعض المجرمين.

وصرح الشيخ:

«المتآمرون الخونة لهذا البلد المسكين، مفسدو الرأي العام، نصبوا لي فخا، تحركهم رغبة تلبية نزوات شريرة»

« ولكن في الوقت الراهن، وهم يمرون بمحنة وعذاب قدرته لهم جرائمهم التي ارتكبوها وكذلك الإسراف الذي أفرطوا فيه وأذنبوا في حق هذا الشعب المسكين. وقد ظهر هؤلاء المجرمون فجأة في الفترة التي غادرت فيها البلاد. وخانوا الشعب، الذي هو سهل الانخداع. ولم يجمعوا حولهم إلاّ حثالات المجتمع والشوارع، ومع ذلك ظنوا أنهم يستطيعون الإنقاص والحط من هيبتي ».

«ولكـــنهم خابوا وتلاشت أحلامهم. ولذلك حاولوا قتلي مرتين خـــلال الخـــريف الماضـــي عـــندما كان الشعب يحتفل برجوعي بمناســـبة الـــزيارات الـــتي قمت بها إلى مدينتين داخل الوطن. وســـيتفطن إليهـــم الشـــعب عـــن قـــريب ويفهم مرمى أفعالهم الإجرامية، وسيتركهم ويلتفت إلي».

« وفـــي شـــهر مارس الفارط، توجهت إلى أهم مدن الساحل التونسي، واتصلت مباشرة بالشعب، وتجمع الشعب حولي كتجمع النحل على العسل ».

«ولمـــا فهـــم خصـــومي أن وقتهم قد فات، قرروا بغتة نشر الشـــغب في البلاد. وهكذا انفجرت أحداث 9 أفريل الفارط والتي قدمت لكم عنها علاقة خاطئة قبل حين».

«غيـــر أن الحكومـــة تخلصـــت من المجرمين ومن ممثيلهم الثانويين وقدمتهم إلى المحاكم العسكرية، وأعلنت الحكم الزجري السائد إلى اليوم».

« وبالنســـبة لأصدقائي وأنا شخصيا، فإننا نحافظ على هدوئنا أمام هذه المسرحية المحزنة، وعندما تنتهي فإن الله يقدر البقية. ولكـــن مهمـــا كـــان الأمر فإننا نرفض التدخل في هذه الأحداث المؤســـفة. وقد ألغينا جميع صحفنا العربية والفرنسية بمبادرتنا الشخصـــية، وأغلقـــنا نوادينا، إلى حين تنتهي فترة الشغب هذه وبعدها سنستأنف عملنا بجدية».

« هذه قصة الأحداث التي أرجوك أن تبلغها إلى جميع أصدقائنا »

المصري 4 جوان 1938

المصدر: أرشيف ما وراء البحار، آكس صندوق (29H36).

الوثائق المنشورة

1 - Résidence générale de France à Tunis «Rapport sur la situation politique indigène en Tunisie – Décembre 1937», WATHA'IQ,C.S. H.T.F., N° 3, (Tunis, 1985).

2 - Directeur Sûreté Publique en Rd gl de Fer à Tunis, «a/s Activité destourienne en juillet du 4 Août 1937». WATHA'IQ, CSHTF N° 9 (Tunis 1988).

الوثائـق غيـر منشـورة

أ ـ مركز التوثيق القومي – تونس

رقم A4_24، محي الدين القليبي (كلمة صريحة إلى جناب المقيم) الإرادة، في 1934/8/30.

رقم B3–33 Habib Bourguiba est reçu par la section parisienne du Néo-Destour, la Flèche, du 20/2/1937.

رقم B 3–33 - Dr Materi «A propos d'un Discours» Action Tunisienne, du 27/2/1937.

ب – أرشيف ولاية قسنطينة / الجزائر

- SLNA – Direction Sureté Publique au Général Commandant Supérieur des Troupes de Tunisie «Manifestation dans la salle le Mondial» Tunis, le 26/7/1937.

- S.E.A. Renseignements «Répercussion en Tunisie des évènements de Palestine», Alger, le 15/9/1937.

- Préfecture d'Alger Bureau d'information et d'études, Alger 1937-1938, «Activités indigènes en Tunisie», du 21 Septembre au 30 Novembre 1937.

ج – أرشيف ما وراء البحار– آكس / فرنسا.

- 29 H 35 - SEA , Renseignements, Alger, le 27/12/1937.
  - Gouvernement Général d'Algérie, Renseignements, Alger, le 23/9/1936.
  - G.G.A. Dengts, Alger, le 10/6/1937.
- 29 H 36 - Centre de Documentation Orientale, Paris, le 14/6/1938.
- 26 H 1 - Secrétariat général du Gouvernement Tunisien, Bulletin mensuel, Nahda, du 2/12/1934.
- 26 H 2 - Secrétariat général du Gouvernement Tunisien, Bulletin mensuel, Janvier 1935.
  - Sect. Gl. G.T., Service de la presse musulmane et de l'interprétariat, Revue mensuelle, Avril – Mai – Juin, 1934.
  - Sect, Gl. G.T., S. pr. Mus, Revue mensuelle Juillet-Août - Septembre 1934.
- 27 H 6 - Ministère de la Guerre, Etat-Major de l'Armée, Gouvernement Général d'Algérie, Bulletin de Renseignement Mensuel, Paris, le 11/9/1934.

- M.G., E.M.A., G.G.A., Bul . Rgts ml. Paris, le 11/6/1934.

- 26 H 3 - Résidence générale Tunis, Analyse de la presse Tunisienne Octobre 1936.

- Rd. Gl. Tunis, Ana.pr. Tunis, du 1 au 15 Sept.1937.

- Rd. Gl. Tunis, Ana.pr. Tunis du 15 au 30 Sept.1937.

29 H 26 - Rapport du Président du Conseil, Ministre de l'Intérieur au Gouvernement Général d'Algérie, Paris le 3 Juin 1936.

- Consulat général de France en Palestine, lettre du consul général au Ministre des Affaires Etrangères, Jérusalem, le 2 Juin 1937.

صورة للشيخ عبد العزيز الثعالبي

صورة شمسية للشيخ عبد العزيز الثعالبي

صورة للشيخ مع بعض أعيان مصر

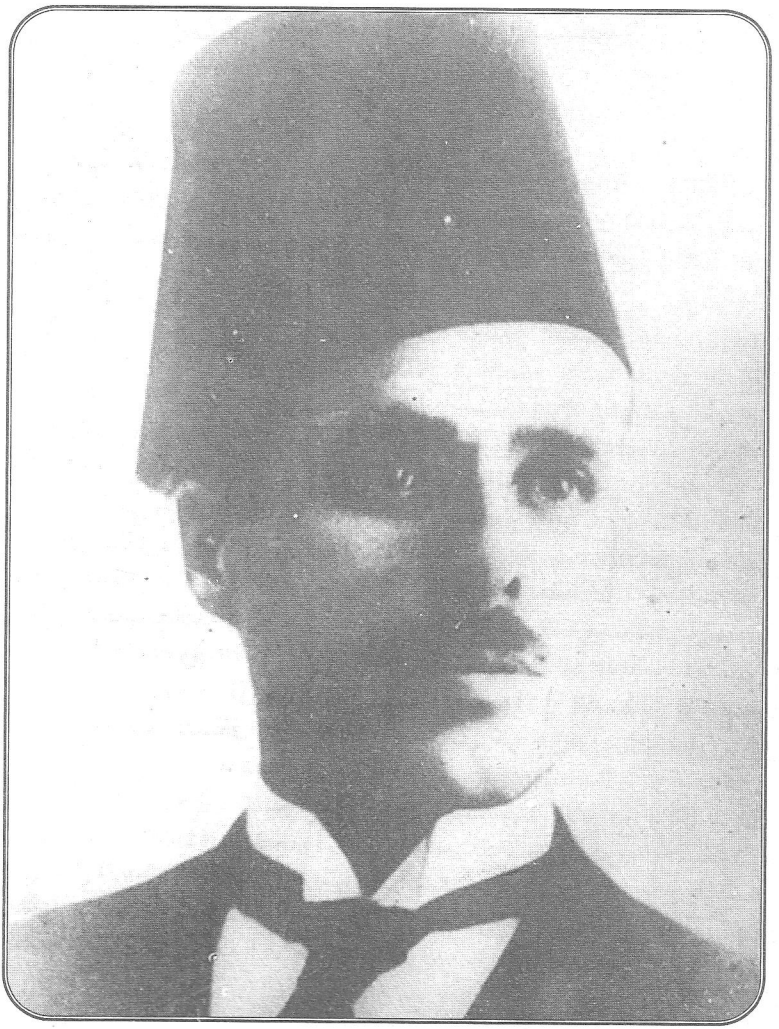

صورة الزعيم الحبيب بورقيبة سنة 1934

صورة الباي محمد الأمين مع الجنرال ديغول رئيس
اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بقصر باردو

صورة للوزير خير الدين التونسي

صورة الزعيم الدكتور محمود الماطري

المصادر والمراجع

أ – المصادر والمراجع العربية:

1- بورقيبة، الحبيب، حياتي آرائي جهادي، نشريات كتابة الدولة للإعلام، تونس 1978.

2- بيقي، كاميل، رسالة بورقيبة، سياسة انسان، ترجمة رياض المرزوقي وتوفيق بن عامر، ومراجعة أحمد العابد، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1981.

3- الثعالبي، عبد العزيز، مسألة المنبوذين في الهند، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

4- الثعالبي، عبد العزيز، الكلمة الحاسمة، تقديم حسن أحمد جغام، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/تونس، 1989.

5- خالد، أحمد، شخصيات وتيارات، ط 2 ، تونس، مؤسسات بن عبد الله، 1976.

6- الذوادي، زهير، تطور الحركة الوطنية التونسية 1929–1939، دار التقدم، تونس، د.ت.

7- مناصرية، يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919–1934، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

8- مناصرية، يوسف «زيارة عبد الحميد بن باديس إلى تونس وفكرة الوحدة المغربية» (الملتقى الدولي، قسنطينة/الجزائر، أفريل 1989).

ب – المصادر والمراجع الأجنبية.

1- Bourguiba, H., La Tunisie et la France, vingts cinq ans de coopération libre, MAT, Tunis, S.D.

2- H.Guerif, Jacques, «l'évolution du Mouvement National Tunisien», le Temps moderne, 1er Trimestre, (Paris, mars 1952).

3- HAMZA, H. Raout, «Eléments pour réflexion sur l'histoire du Mouvement National pendant l'entre deux guerres : la scission du Destour de mars 1934», in les Mouvements Politiques et sociaux dans la Tunisie des années 1930, (Acte du 3é séminaire de l'histoir du M.N.T., mai 1985), Tunis, 1987.

4- Lejri, M.S., Evolution du Mouvement National Tunisien , MAT., T2, SD.

5- EL-MECHAT, Samia «La guerre des deux Destours 1937-1939», Revue d'histoire Maghrébine, N° 25-26, 9é année, (Juin 1982).

6- L. Mohendis, en Tunisie Afrique Française , Juillet 1937.

7- Rey-Goldzeiguer, Annie, Pour une histoire du haut comité Méditerranéen, ch.A.Julien : acteur et témoin , in Mouts Pol. Soc. Tunisie des années 1930, (Acte du 3é sem. 1985), Tunis 1987.

الفهرس

الاهداء..... 5
مقدمة..... 7
صراع الحزب الدستوري والديوان السياسي في تونس..... 13
النتيجة..... 47
الوثائق 51
الوثيقة الأولى..... 55
الوثيقة الثانية..... 57
الوثيقة الثالثة..... 59
الوثيقة الرابعة..... 65
الوثيقة الخامسة..... 67
الوثيقة السادسة..... 69
الوثيقة السابعة..... 79
الوثيقة الثامنة..... 89
الوثيقة التاسعة..... 91
الوثائق المنشورة..... 93
الوثائق غير المنشورة..... 93
أرشيف ما وراء البحار..... 94
صورة للشيخ الزعيم عبد العزيز الثعالبي..... 97
صورة للشيخ الزعيم عبد العزيز الثعالبي..... 98
صورة للشيخ مع بعض أعيان مصر..... 99
صورة الزعيم الحبيب بورقيبة سنة 1934..... 100

صورة الباي محمد الأمين مع الجنرال ديغول رئيس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بقصر باردو 101
صورة للوزير خير الدين التونسي 102
صورة الزعيم الدكتور محمود الماطري 103
المصادر والمراجع 105
الفهرس 107

كتب حول تاريخ الحركة الوطنية التونسية
صدرت عن الدار

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف للطباعة والنشر
بسوسة - الجمهورية التونسية

كتب حول تاريخ الحركة التونسية
صدرت عن الدار

ISBN : 9973-16-756-2
6 192200 504311

تم سحب 2000 نسخة من هذا الكتاب.
الطبعة الأولى :2002.
الثمن : 3.000 د.ت.